# أضواء على نظام التعليم في مصر زمن المماليك

حياة ناصر الحجي *

* حصلت على الدكتوراه في التاريخ الوسيط من جامعة لندن عام ١٩٧٥.
تعمل استاذا لتاريخ العصور الوسطى بجامعة الكويت.

## الملخص

إن رغبة المماليك في التقرب إلى الشعب كانت من الأسباب التي أدت إلى ازدهار التعليم أيام المماليك . فأوجدت الجوامع والمساجد لأهل الدين وأحبائه ، والمدارس لطالبي العلم والتعليم ، والأربطة والزوايا للفقراء والمحتاجين ، والخانقاوات للصوفية المتعبدين . ونتيجة لهذا الاقبال الشديد على بناء المؤسسات التعليمية زادت أوقاف العصر زيادة كبيرة استلزمها الانفاق عليها لكي تتمكن هذه المؤسسات من القيام بوظائفها كاملة وبصفة مستمرة . وقد اشترك في تدعيم هذه الرابطة الدينية مع الشعب السلاطين والأمراء وزوجات السلاطين على حد سواء حسب قدراتهم المالية .

ولعل من أشهر الجوامع والمساجد التي شيدت في عصر المماليك جامع السلطان الناصر محمد بن قلاون الذي أنشأ عام ٧١١هـ / ١٣١١م .

كما حرص السلاطين المماليك على تجديد الكثير من الجوامع التي شيدت في عصور سابقة .

وكان يعتني عناية فائقة باختيار من يقوم بالتدريس في الجوامع حيث إنها المكان المعد لاستقبال مختلف طبقات الشعب لأداء الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة ، والاستماع إلى الخطب والأحاديث الدينية التهذيبية. كذلك حرص المماليك على إقامة المدارس وزادت على ذلك العناية بالتعليم .

ولا شك أن الهدف الأساسي من وراء سياسة الإكثار من المدارس أيام حكم السلاطين المماليك هو خدمة الدين الإسلامي، وما يتفرع عنه من مختلف العلوم العقائدية والتشريعية . وقد كان وجود العلماء والفقهاء والقضاة في مصر في العصر المملوكي بأعداد كبيرة، مع تعمق في مختلف الدراسات العقائدية والاجتماعية عاملا مشجعاً لأصحاب السلطة ، ومحبي العلم والتعليم ، والمقتدرين لإنشاء المدارس على مختلف أنواعها ، وقد كان من نتيجة ذلك تلك العلاقة الوثيقة والرابطة القوية بين الحكام المماليك من ناحية وبين طبقة العلماء والفقهاء والقضاة والمتعلمين من ناحية أخرى .

كذلك وصلت الخانقاوات في العصر المملوكي أعلى درجات الارتقاء في التنظيم وأساليب الدرس ، ونخبة العلماء المشرفين على حلقات الدراسة والوعظ والتفسير من ذلك على سبيل المثال لا الحصر خانقاة سرياقوس .

علاوة على ذلك كان للزوايا والأربطة دور كبير في خدمة أغراض التصوف والانقطاع للعبادة والتعليم .

وتحدثنا النصوص التاريخية المملوكية عن عدد غير قليل من العلوم التي نبغ فيها مجموعة كبيرة من علماء العصر المملوكي مثل ابن تيمية ، وبدر الدين بن جماعة ، وشمس الدين السخاوي وآخرين .

وقد تميز النظام التعليمي في عصر المماليك بالتخصص حيث انفردت كل مؤسسة بعلم معين ، فالبيمارستان المنصوري على سبيل المثال اختص بتدريس علم الطب . وترتب على ذلك أن الطالب الذي يريد أن يتبحر في علم بذاته يتجه إلى المدرسة التي تهيء مثل هذا التخصص .

بالإضافة إلى كل ذلك حظيت المرأة في العصر المملوكي بمكانة كبيرة في مجالس العلم إذ نالت نصيباً وافراً من التوجيه التربوي والتعليمي . كذلك عنى القائمون على نظام التعليم في تلك الحقبة بمسألة أخلاق وسلوك المعلم بحيث يكون المعلم مثالا يُحتذى به من طلبته .

وأخيراً وليس آخراً لا بد من القول أن علماء العصر المملوكي أظهروا كفاءة واضحة في الشئون القضائية والإدارية والقانونية والتعليمية ، وكذلك في المجالات المالية والتجارية والديوانية .

يعود الفضل للمماليك في طرد بقايا الصليبيين من بلاد الشام، وفي رد المغول على أعقابهم في محاولتهم الفاشلة لاحتلال الشام ودخول مصر. وإذا كان التاريخ يحفظ لهم هذا الفضل السياسي على العالم الإسلامي في حمايته والذود عنه، فإنه لا ينكر مطلقا دورهم الحضاري حيث زادت المؤسسات الدينية والتعليمية زيادة كبيرة. وقد يثور هنا سؤال عن الأسباب التي أتاحت لهم فرصة القيام بهذا الدور. لا شك أن السلام والاستقلال اللذين حظيت بهما سلطنة المماليك مع بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي كان سببا رئيسيا في هذه النهضة التعليمية. إلى جانب ما حظيت به سلطنة المماليك آنذاك من ثروة كبيرة نتيجة العلاقات التجارية مع الشرق والغرب.

ومن جانب آخر يمكن القول إن رغبة المماليك في التقرب إلى الشعب كانت من الأسباب التي أدت إلى ازدهار التعليم أيام المماليك. فقد تعددت وتنوعت المظاهر والوسائل الداخلية التي مارسها المماليك للتقرب إلى الشعب خدمة لكل فئة، فأوجدت الجوامع والمساجد لأهل الدين وأحبائه، والمدارس لطالبي العلم والتعليم، والأربطة والزوايا مأوى للفقراء المحتاجين، الخانقاوات للصوفية المتعبدين، وبالنتيجة زادت أوقاف العصر زيادة كبيرة استلزمها الإنفاق على هذه المراكز، فما أن ينتهي من إنشاء مسجد أو تشييد مدرسة أو إقامة خانقاه حتى يكون الرصد في الأوقاف استوفى عددا هائلا من الدور والأراضي والأجزاء، ليكون مصدرا شرعيا ثابتا للصرف، ليمكن هذه المؤسسات من القيام بوظائفها كاملة وبصفة مستمرة. وقد اشترك في تدعيم هذه الرابطة الدينية مع الشعب السلاطين والأمراء وزوجات السلاطين على حد سواء حسب قدراتهم المالية.

**اولاً: الجوامع والمساجد**

جامع السلطان الناصر محمد عند فم الخليج الناصري والذي يعرف باسم الجامع الناصري، وقد أنشيء سنة ٧١١هـ / ١٣١١م[١]، وجامع القلعة الذي بناه سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م، وجامع سيف الدين كراي المنصوري بالريدانية سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م، وجامع بمشهد السيدة نفيسة سنة ٧١٤هـ / ١٣١٤م، وجامع القاضي فخر الدين ناظر الجيش، وله ايضا جامع بجزيرة الفيل وجامع آخر بجسر الأفرم، وجامع الأمير علاء الدين طيبرس النقيب، وجامع كريم الدين الكبير، وجامع بدر الدين الحاكي، وجامع بدر الدين ابن التركماني، وجامع أمير حسين، وجامع دولة شاه، وجامع قيدان الرومي، وجامع آق سنقر، وجامع جمال الدين أقوش نائب الكرك، وجامع ناصر الدين «أخو» شهاب الدين صاروجا، وجامع بنت الملك الظاهر، وجامع ابن صارم شيخ باب اللوق، وجامع الطواشي خارج باب القرافة سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م، وجامع ناصر الدين ابن الحراني الشرابيشي بالقرافة سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م، وجامع قرا «أخو» الماس الحاجب سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م، وجامع الماس الحاجب سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م، وجامع قوصون سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م، وله جامع آخر ظاهر باب القرافة، وجامع آل ملك بالحسينية سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م، وجامع المقر السيفي بشتاك سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م، وجامع الأمير سيف الدين الطنبغا الماردانى سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م، وجامع ابن الطباخ بباب اللوق، وجامع الأمير عز الدين أيدمر الخطيري، وجامع سيف الدين كرحى النقيب بالحكر[٢].

أي «صارت الجملة مع ما تجدد من الخطب بالمدارس في الدولة الناصرية إحدى وثلاثين خطبة»[٣]. وهذا العدد الكبير من الجوامع التي تم إنشاؤها في عهد الناصر محمد تعطينا الحق في أن نصف ذلك العصر بالازدهار.

وقد كثرت أقوال مؤرخي العصر المملوكي حول عدد الجوامع والمساجد التي شيدت في مصر أيام السلاطين المماليك، ومن ذلك قول ابن شاهين أنه «قيل إن بمصر والقاهرة داخل السور وخارجه ألف خطبة ونيف عن ذلك»[٤]. أما المقريزى فيذكر أن عدد المساجد التي تقام بها الجمعة مائة وثلاثين مسجداً[٥]، وقد يكون من الأسلم أن نتبع كلام القلقشندي حيث يقول إنها أي المساجد «أكثر من أن تحصى، وأعز من أن تستقصى»[٦].

وخلاصة القول إنه كان في مصر في العصر المملوكي عدد كبير من الجوامع والمساجد منها ما بني في فترة سابقة لحكم المماليك وجدد في أيامهم، ومنها ما بني أثناء العهد المملوكي على يد السلاطين والخواندات[٧] والأمراء والنواب وكبار رجال الدولة، ولم يقتصر هذا الإمعان في بناء الجوامع على مصر، فقد جدد الناصر محمد سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م في دمشق ثلاثة جوامع وهي: جامع تنكر المشهور به، وجامع كريم الدين، وجامع شمس الدين غبريال[٨].

ولكي تتضح هذه الصورة الحضارية أكثر لا بد من دراسة تفصيلية لبعض هذه الجوامع، نخرج منها ببيان شيء من الصفات المشتركة والخاصة بأهمية هذه الجوامع. وقد يكون من الأجدر عند ذكر بعض هذه التفاصيل أن نبدأ بأحد الجوامع السلطانية، والتي يأتي جامع القلعة على رأسها، وقد أحسن المقريزي وصف هذا الجامع بقوله: «هذا الجامع بقلعة الجبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة ثمان عشرة وسبعمائة.. وعمّره أحسن عمارة، وعمل فيه من الرخام الفاخر الملون شيئا كثيرا، وعمّر فيه قبة جليلة، وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصنعة، وفي صدر الجامع مقصورة من حديد أيضا برسم صلاة السلطان. فلما تم بناؤه جلس فيه السلطان واستدعى جميع المؤذنين بالقاهرة ومصر وسائر الخطباء والقراء، وأمر الخطباء فخطب كل منهم بين يديه، وأقام المؤذنون فأذنوا، وقرأ القراء، فاختار الخطيب جمال الدين محمد بن محمد بن الحسن القسطلاني[٩] خطيب جامع عمرو، وجعله خطيبا بهذا الجامع، واختار عشرين مؤذنا رتبهم فيه، وجعل به قراء ودرساً وقارىء مصحف»[١٠].

وهذا التفاني في بناء المسجد السلطاني بالقلعة، واستخدام أثمن المواد في هندسة جوانبه وأركانه دليل على ما وصلت إليه نظرة المماليك من الإرتقاء الحضاري في مجال العمارة. وفي سبيل استكمال الصورة وإضافة طابع الحيوية الحضارية اجتهد في تعيين أفضل مؤذني العصر وخطبائه وأحسن القراء، ومن ناحية أخرى استمرت عناية الناصر محمد بهذا الجامع طوال حياته. ويذكر المقريزي ذلك بقوله: «ثم أخربه في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، وبناه هذا البناء، فلما تم بناؤه وجلس فيه واستدعى جميع مؤذني القاهرة ومصر، وجميع القراء والخطباء وعرضوا بين يديه، وسمع تأذينهم وخطابتهم وقراءتهم، فاختار منهم عشرين مؤذنا رتبهم فيه، وقرر فيه درس فقه، وقارئا يقرأ في المصحف... وهذا الجامع متسع الأرجاء، مرتفع البناء، مفروش الأرض بالرخام، مبطن السقوف بالذهب، وبصدره قبة عالية يليها مقصورة مستورة هي والرواقات بشبابيك الحديد المحكمة الصنعة، ويحف صحنه رواقات من جهاته»[١١].

وبناء على ذلك فالتجديد والتنظيم في الجامع كان مستمرا، ولم يقتصر على الهندسة المعمارية، بل شمل أيضا العاملين فيه من علماء وفقهاء.

أما عن الجوامع الأميرية فالمقريزي في كتابته التفصيلية عن هذه الجوامع يصف جامع الأمير شمس الدين آق سنقر حيث يقول: «أنشأه الأمير آق سنقر الناصري[١٢]، وبناه بالحجر وجعل سقوفه عقودا من حجارة ورخمه، واهتم في بنائه اهتماماً زائداً حتى كان يقعد على عمارته بنفسه، ويشيل التراب مع الفعلة بيده، ويتأخر عن غدائه اشتغالاً بذلك، وأنشأ بجانبه مكتبا لإقراء أيتام المسلمين القرآن وحانوتا لسقي الناس الماء العذب.. وجعل عليه ضيعة من قرى حلب تغل في السنة مائة وخمسين ألف درهم فضة.. وقرر فيه درساً فيه عدة من الفقهاء، وولي الشيخ شمس الدين اللبان الشافعي خطابته، وأقام له سائر ما يحتاج إليه من أرباب الوظائف»[١٣] من ذلك نفهم أن الاهتمام الكبير في بناء الجوامع بلغ حد الإشراف والمشاركة الشخصية لصاحب الجامع في عملية البناء، زيادة على ما يصرفه في العمارة وانتقاء أجود مواد البناء، والعمل على تهيئته للانتفاع منه في مجال التعليم ومساعدة أطفال المسلمين الأيتام.

أما جامع الأمير عزالدين أيدمر الخطيري[١٤] في بولاق فقد «بالغ في عمارته، وتأنق في رخامه، فجاء من أجمل جوامع مصر وأحسنها، وعمل له منبرا من رخام في غاية الحسن، وركب فيه عدة شبابيك من حديد تشرف على النيل الأعظم، وجعل فيه خزانة كتب جليلة نفيسة، ورتب درسا للفقهاء الشافعية.. وكان جملة ما أنفق في هذا الجامع أربعمائة ألف درهم نقرة[١٥] وكملت عمارته في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة...»[١٦].

ومن ثم يمكننا تدوين بعض الملاحظات المشتركة بين هذه الجوامع التي قد تساعدنا كثيرا في الوصول إلى معرفة إنشاء هذه الجوامع، والدور الذي لعبته في خدمة التعليم.

لقد بلغ الفن المعماري والهندسة البنائية الأوج في تشييد هذه الجوامع، وكان يجتهد في استخدام أجود أنواع الرخام الأبيض والملون، يؤتى به من مختلف النواحي، وأحسن أصناف الأخشاب، وعمل كل ما هو جميل فيها من قباب وأعمدة وأروقة وفسقيات وأبواب ومنابر ومئذنات ومقصورات [١٧]. وفي بعض الأحيان كان يعمر بجوار الجامع خانقاه للمستقرين من الصوفية والواردين من الفقراء [١٨].

كما كان يهتم اهتماما كبيرا بترميم هذه الجوامع وتجديدها، بل إن بعضها هدم وجدد أكثر من مرة[١٩]. بالإضافة إلى أن أصحاب هذه الجوامع سواء كانوا من السلاطين أو الأمراء اجتهدوا في بناء الأربطة والخانقاوات أيضاً [٢٠]. واشتمل بعض هذه الجوامع على قاعات يُرتب فيها درسٌ للفقهاء ولقراء الكتاب الكريم [٢١]. أما أحواض ماء السبيل فكانت في العادة إما أن تلحق بهذه الجوامع أو تقام بجوارها[٢٢]. بل بلغ من اهتمام أصحاب هذه الجوامع ببنائها أنهم كانوا يشرفون على عمارتها بأنفسهم، بل ويشاركون في عملية البناء [٢٣]. كما ضمت بعض هذه الجوامع مكاتب لاقراء أيتام المسلمين القرآن الكريم [٢٤].

وكان يعتني عناية فائقة باختيار من يقوم بالتدريس في الجوامع، حيث إنها المكان المعد

لاستقبال مختلف طبقات الشعب لأداء الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، والاستماع إلى الخطب والأحاديث الدينية التهذيبية، ويسجل القلقشندي نسخة توقيع كتب للقاضي عز الدين ابن جماعة ليتولى التدريس عوضا عن والده القاضي بدر الدين في الجامع العتيق بمصر، وذلك في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م.

ويذكر التوقيع أن القاضي عز الدين ابن جماعة [٢٥] اختير لهذا المنصب لما يتصف به من صفات نبيلة ومنزلة رفيعة بين العلماء، وبناء على توصية والده بدر الدين بن جماعة. ثم يوصي السلطان القاضي بالعمل بتقوى الله تعالى، ففي ذلك شهرته وانتشار معرفته بين الناس وأهل العلم، وأن يجتهد في افادة الطلبة وتعليمهم [٢٦]. إلى جانب ذلك كان يتم تعيين عدد من أرباب الوظائف في كل جامع للقيام على خدمته[٢٧].

ففي جامع الحاكم على سبيل المثال رتبت «دروس أربعة لإقراء الفقه على مذهب الأئمة الأربعة، ودروس لإقراء الحديث النبوي، وجعل لكل درس مدرسا وعدة كثيرة من الطلبة فرتب في تدريس الشافعية قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي [٢٨]، وفي تدريس الحنفية قاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي الحنفي [٢٩] وفي تدريس المالكية قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي [٣٠]، وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين الجواني، وفي درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعود الحارثي[٣١]، وفي درس النحو أثير الدين أبو حيان، وفي درس القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفي، وفي التصدير لإفادة العلوم علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي[٣٢]». [٣٣].

وكذلك جامع الفخري فقد كان فيه «الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوي الشافعي [٣٤] للتدريس وأضيف إليه مشيخة التصوف، وقرر قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري المقدسي الحنفي في تدريس الحنفية، وفي تدريس المالكية قاضي القضاة جمال الدين عبدالله بن مقداد المالكي[٣٥]». [٣٦].

ورتب في بعض من هذه الجوامع خزانة كتب جليلة [٣٧]. وكثيرا ما كانت إقامة جامع في أي بقعة سببا في قدوم سائر الناس للسكنى بجواره، فتكثر حوله الدور والأسواق، فيصبح المكان منطقة معمورة حسنة البناء والتخطيط [٣٨]. كما نظمت بعض الجوامع على أن يكون جانب منها لإيواء الصوفية، ويقرر لهم في كل يوم طعام ولحم وخبز، وفي كل شهر معلوم [٣٩]. كما كان يعمر بجوار بعضها رباط للفقراء، مأوى يسكنون به من ناحية، ويكفيهم مغبة مد اليد وسؤال الإحسان من ناحية أخرى [٤٠].

من كل ذلك نستطيع أن نتبين أن مصر في عصر سلاطين المماليك شهدت نشاطا دينيا تعليميا ثقافيا واسعا، استلزم هذا العدد الكبير من الجوامع التي لم تكن أماكن عبادة فحسب، بل مراكز للتدريس، ومجالس لاجتماع مختلف فئات الشعب بالقضاة والفقهاء.

وتعتبر وظيفة النظر في هذه الجوامع من الأمور الهامة المرتبطة باستمرار هذه الجوامع في تأدية رسالتها في خدمة مختلف طبقات الشعب، وكانت توكل في العادة، إما لأولاد الواقف أو لأحد كبار القضاة [٤١]. ويحفظ لنا القلقشندي توقيع بنظر الجامع الناصري بقلعة الجبل، كتب للقاضي جلال

الدين القزويني [٤٢]، وهو يومئذ قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية. وتبين لنا الوثيقة [٤٣] أهمية وظيفة النظر، حيث إن هذا التوقيع صدر عن الناصر محمد، وعلى هذا يكون تعيين الناظر في الجامع الناصري بقلعة الجبل، تم بأمر سلطاني لا ينقضه إلا السلطان نفسه، كما يدل على مدى جلال هذه الوظيفة وحساسيتها. يبدأ التوقيع ببيان أفضال المماليك على الحركة الاسلامية واستمرارهم في إعلاء منار الإسلام، وهذا ما كانوا يحرصون على إبرازه في مختلف المناسبات. بعد هذا التصدير تتضمن الوثيقة عبارات الحمد لله والشكر له على جليل نعمه وغزير فضله.

ثم تتناول الوثيقة بعد ذلك شرح أهمية تعيين ناظر للجامع، حيث أن وجوده ضرورة لابد منها، حتى يمكن لهذا الجامع تأدية الوظائف المطلوبة منه على خير وجه، والاستمرار في نشاطه الديني والتعليمي والاجتماعي دون انقطاع. ووظيفة الناظر هي الإشراف الكامل على كافة أجزاء الجامع وما يتصل به، وملاحظة مختلف نشاطاته. ولكي يضمن الواقف حسن عناية الناظر بالجامع وقيامه بواجبه كاملا ـ لابد أن يحسن اختيار هذا الناظر، حيث إن بناء الجامع والانتهاء من عمارته لا يكفي، ولكي يحقق هذا الجامع المراد منه والهدف من تشييده ـ لابد من وجود ناظر كفء يمكن الوثوق بدينه وأخلاقه، والاطمئنان إلى علمه فيقوم مقام النفس في حسن مباشرة أمور الجامع ومراقبة احتياجاته يعينه على ذلك تمسكه بدينه، وتمكنه من علمه، ومحبته للأمانة والخير. وقد وفق السلطان باختيار قاضي قضاة الشافعية المعروف بجليل صفاته، وغزارة علمه، وندرة من يماثله دينا وخلقا وعلما، وعلى ذلك فهو خير من يقوم بوظيفة النظر والخطابة بهذا الجامع، ولم يكن ذكر اسمه للتعريف به فهو غني عن التعريف، وإنما هو من مستلزمات مادة من مواد مثل هذه المراسيم السلطانية. ثم تتناول الوثيقة بعض الألقاب والصفات التي يضفيها السلطان على شخص قاضي القضاة سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن عمر بن أحمد القزويني، فهو حجة الإسلام والمسلمين وقدوة العلماء العاملين في العالمين، وغير ذلك من الصفات التي تليق بجلال قدره وعلو مكانته، وتناسب ما يتصف به من تدين ظاهر، وأخلاق عالية، وعلم وافر مفيد. ثم تتناول الوثيقة ذكر أهم أسباب اختيار القاضي القزويني لوظيفة النظر، للإشراف على سير الأحوال في الجامع[٤٤].

وكان يحتفل بافتتاح الجامع بعد الانتهاء من عمارته احتفالا كبيرا، ويعد ذلك من المناسبات الرسمية التي تستدعي حضور السلطان، خاصة إذا كان هذا الجامع أقيم بأمر منه أو باسمه، كما حدث حين «انتهت عمارة الجامع الجديد الناصري بساحل مصر، فنزل السلطان إليه، ورتب فيه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي خطيبا، ورتب فيه أربعين صوفيا في سطحه، وأربعين صوفيا بداخله، ورتب لكل منهم الخبز واللحم في اليوم، ومبلغ خمسة عشر درهما في الشهر، وجعل شيخهم قوام الدين الشيرازي، ووقف السلطان عليه قيسارية العنبر بالقاهرة، وعمل له ربعا وحماما، وأقام له خطيبا، وأول صلاة صليت به ظهر الخميس ثامن صفر بإمامة الفقيه تاج الدين أبي عبدالله محمد بن الشيخ مرهف، وخطب فيه من الغد يوم الجمعة تاسعه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة [٤٥]».

أما بالنسبة للمساجد في مصر أيام حكم سلاطين المماليك فقد سبق أن ذكرنا أنها كثيرة العدد لدرجة يصعب حصرها، وكان الهدف الرئيسي من وجودها هو إقامة الصلوات الخمس كل يوم

لمختلف فئات الشعب، ولا بأس من ذكر بعض الملاحظات الخاصة بتشييد هذه المساجد.

إن بعض هذه المساجد أقامته الدولة (٤٦)، والبعض الآخر أنشأه الفقهاء أو كبار رجال الدولة الأتقياء (٤٧)، وكان رصد الأوقاف عند بناء كل مسجد أمرا مهما حتى يمكن استمرار الإنفاق عليه (٤٨). وكان يعني بعمارتها عناية كبيرة (٤٩)، بل ويعمل على تجديدها إذا استلزم الوضع ذلك (٥٠)، كما احتوى بعضها على أربطة وزوايا ينقطع فيها الأتقياء للتعبد، بل منها ما احتوى على عدة بيوت للنساء المنقطعات (٥١).

يستفاد من كل ذلك أن هذه المساجد لعبت دورا مهما في خدمة الأهداف الدينية لا يقل بأي من الأحوال عما قدمته الجوامع، وسبق أن أشرنا إليه. وعلى ذلك فإن كلاً من الجوامع والمساجد أسهمت إسهاما لا ينكر فضله في بناء صرح الحياة الدينية والتعليمية في مصر في العصر المملوكي. وتفرعت خدماتها وتنوعت وظائفها، ولم يقتصر ذلك على كونها مراكز تعبد وتهذيب، بل غدت مؤسسات للعلم والدرس، وبيوت للعون والمعونة، ومنتديات للنصح والتوجيه، وضمت أعدادا كبيرة من الطلبة والفقهاء.

**ثانيا : المدارس**

لم يقتصر اهتمام المماليك بالتعليم على ما قدمته أماكن العبادة من توفير مراكز لقراءة القرآن الكريم، أو مجالس تشاور مع الفقهاء والقضاة، أو قاعات للدرس وتعليم الأطفال اليتامى، بل امتد ذلك الأثر ليشمل إقامة مؤسسات يكون الهدف الأساسي من وجودها ممارسة ونشر التعليم. وقد اشترك السلاطين والأمراء والمقتدرون من العلماء في إقامة صرح التعليم هذا، فتعددت المدارس وزادت العناية بالتعليم.

و يرجع تاريخ إنشاء المدارس في مصر إلى أواخر العصر الفاطمي ثم توسع السلطان صلاح الدين بن أيوب في ذلك، حيث بنى لكل من الطائفتين الشافعية والحنفية مدرسة بمدينة مصر (٥٢). ومن ثم بدأت قافلة التعليم تسير بعدد ضئيل من المدارس، وينضم إلى القافلة بين فترة وأخرى مدرسة وثانية، إلى أن أصبح بمصر مع بداية حكم السلاطين المماليك عدد كبير من المدارس، فغدت مصر مركزا حضاريا للعلم ونشر التعليم، ولا أدل على ذلك التفوق والتقدم في مجال الحياة العلمية والتعليمية من أن الكانم من طوائف التكرور (٥٣) لما وصلوا إلى مصر سنة «بضع وأربعين وستمائة» (٥٤) قاصدين الحج دفعوا للقاضي علم الدين بن رشيق مالا يبنى به مدرسة للمالكية، وهي بخط حمام الريش. ولما انتهى بناؤها درس بها القاضي ابن رشيق فعرفت باسمه وصار لها في بلاد التكرور سرحة عظيمة، وكانوا يرسلون لها الأموال في أغلب السنين(٥٥).

ولا شك أن طوائف التكرور أدهشها ما كان في مصر في ذلك الحين، من المدارس العديدة، فأرادوا المشاركة في بناء هذا الصرح التعليمي بالإسهام في بناء مدرسة لتدريس الدين الإسلامي وما يتفرع منه من علوم مختلفة.

ويذكر المقريزي ارتباط عدد من السلاطين المماليك بعدد من المدارس التي ازدهر بها العصر المملوكي، فقد بنى الظاهر بيبرس المدرسة الظاهرية وأنشأ المنصور قلاوون المدرسة المنصورية،

وشيد الناصر محمد المدرسة الناصرية[٥٦]، وأسس الناصر حسن بن الناصر محمد مدرسته العظمى، كما أقام ابن أخيه الأشرف شعبان بن حسين المدرسة الأشرفية، وبنى الظاهر برقوق مدرسته الظاهرية[٥٧]، «وفي خلال ذلك ابتنى أكابر الأمراء وغيرهم من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها»[٥٨] وبمقارنة قول القلقشندي هذا بما سبق أن ذكره عن المدارس أيام الدولة الفاطمية ثم الدولة الأيوبية[٥٩] يتضح لنا تمام الوضوح أن العصر المملوكي كان بحق العصر الذهبي في انتشار التعليم نتيجة هذا الإقبال الكبير، الذي اشترك فيه السلاطين والأمراء والأغنياء على حد سواء في إنشاء المدارس حتى كثرت وتعددت بشكل كبير لفت أنظار مؤرخي العصر المملوكي فسجلت أقلامهم هذه الميزة الفريدة التي امتاز بها العصر المملوكي.

ولا شك أن الهدف الأساسي من وراء سياسة الإكثار من المدارس أيام حكم السلاطين المماليك هو خدمة الدين الإسلامي وما يتفرع عنه من مختلف العلوم العقائدية والتشريعية. وقد كان وجود العلماء والفقهاء والقضاة في مصر في العصر المملوكي بأعداد كبيرة، مع تعمق في مختلف الدراسات العقائدية والاجتماعية عاملاً مشجعاً لأصحاب السلطة، ومحبي العلم والتعليم، والمقتدرين لإنشاء المدارس على مختلف أنواعها، وقد كان من نتيجة ذلك تلك العلاقة الوثيقة والرابطة القوية بين الحكام المماليك من ناحية وبين طبقة العلماء والفقهاء والقضاة والمتعلمين من ناحية أخرى، وليس هناك ما هو أكثر فعالية من هذه الرابطة القوية بين هذين الطرفين المتناقضين لإقناع الشعب بمختلف طبقاته على تقبل الوضع السياسي والرضا بحكم المماليك الدخلاء.

بالإضافة إلى ذلك أمعن مؤسسو هذه المدارس في الصرف على بنائها، وتوفير الأساتذة الأكفاء، ومايلزم من مواد وأدوات لتدريس مختلف العلوم العقائدية والأدبية والعلمية، ولكن رغم تباينها عن مدارس الدولة الأيوبية في الفخامة العمرانية والتقدم العلمي إلا أن كل هذه المدارس تتفق في المظاهر المشتركة والأهداف المشتركة والأهداف الواحدة[٦٠]. وكان المدرسون في هذه المدارس يختارون بعناية كبيرة، ويتم تعيينهم من قبل السلطان[٦١].

وقد كان جميع مؤسسي هذه المدارس من السلاطين والوزراء والأمراء والأغنياء والعلماء المقتدرين، ومن ثم كانت لديهم الموارد الاقتصادية الوفيرة لوقف مختلف الأنواع من الأملاك والعقارات وغير ذلك من الأجزاء، ومن جملة مايوقف على هذه المدارس عدد كبير من القرى[٦٢]، والضياع[٦٣]، والنواحي[٦٤]، والحمامات[٦٥]، والفنادق [٦٦]، والحوانيت[٦٧]، والأملاك[٦٨]، والأراضي[٦٩].

أما عن أوقاف المدرسة الناصرية فيذكر النويري أنه حين «حصل الشروع في عمارتها. وعين له من الأملاك السلطانية ما يوقف عليها، وكان المعين لذلك قاضي القضاة زين الدين المالكي، وهو يومئذ ناظر الأملاك السلطانية، التي ورثها السلطان عن والده وإخوانه والمبتاعة من أجر أملاكه، وكانت أجرتها في كل شهر بالقاهرة وظواهرها خاصة تزيد على ثمانية عشر ألف درهم. ولما عزم السلطان على الحركة إلى الشام للقاء غازان وضربه عند طروقة الشام، وقف القبة والمدرسة، ووقف على مصالحها من أملاكه ما يذكر، وذلك في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وستمائة قبل استقلاله ركابه الشريف إلى الشام بيومين»[٧٠].

ثم أخذ النويري بعد ذلك يعدد ماتم وقفه على المدرسة الناصرية من قيساريات[٧١] وقاعات وحوانيت وحمامات وخانات[٧٢] وغير ذلك من المباني، وكلها تدر الإيجارات الوفيرة، حيث يستغل كل ذلك للصرف على تعمير المدرسة، ومرتبات أرباب الوظائف الدينية، والتعليمية، والخدمات المختلفة[٧٣]. وكان جملة ما تدره هذه الأوقاف ريعا ثابتا للمدرسة الناصرية يزيد على (٨٤٠٢) درهم في السنة[٧٤]. كما يشير المقريزي إلى أوقاف المدرسة الناصرية بقوله:- «ووقف على هذه المدرسة قيسارية أمير علي بخط الشرابشين من القاهرة، والربع الذي يعلوها وكان يعرف بالدهيشة، ووقف عليها أيضا حوانيت بخط باب الزهومة من القاهرة، ودار الطعم خارج مدينة دمشق[٧٥].

وسبق أن ذكرنا أن جامع ابن طولون كان مخصصاً فيه مكاناً للدرس له وظيفة المدرسة. ومن ريع الأوقاف هذا كان يصرف في بعض الأحيان للفقهاء المقيمين في المدرسة معلوم يعيشون منه[٧٦]، وكان هذا المعلوم هو مصدر الرزق الوحيد لبعض الفقهاء، ومن ناحية أخرى كان هو السبب الوحيد أحيانا لبقاء هذه المدارس وعدم وصول الخراب إليها.[٧٧]

كما كان يصرف من ريع الوقف هذا مرتبات للطلبة[٧٨]، ففي المدرسة الناصرية كان واجباً على الناظر أن «يصرف لكل واحد من المدرسين ولمعيديه وطلبته والداعي عنده والنقيب في شهر من شهور الأهلة ألف درهم نقرة، من ذلك ما يختص به المدرس عن التدريس مائتي درهم، والمعيدون والطلبة والداعي والنقيب[٧٩] ما يراه من التسوية والتفضيل»[٨٠] ويلاحظ أن المرتبات التي تصرف للطلبة الدارسين على أيدي فقهاء المذاهب الإسلامية الأربعة تختلف من طائفة إلى طائفة، كما كانت قيمة هذه المرتبات من أسباب جذب الطلبة نحو أحد المذاهب دون غيره، مثال ذلك ما يذكره المقريزي أنه في «سنة سبع وستين وسبعمائة» جدد الأمير يلبغا العمري الخاصكي درساً بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية، وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر أربعين درهما وإردب قمح فانتقل جماعة من الشافعية إلى مذهب الحنفية»[٨١].

وإلى جانب ماكان يحصل عليه أرباب الوظائف من مرتبات منتظمة كانت تتوزع عليهم الخيرات المختلفة في المناسبات الدينية كما جاء في وصف المدرسة الحجازية: «وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة يصرف منها لأرباب الوظائف المعاليم السنية، وكان يفرق فيهم كل سنة أيام عيد الفطر الكعك والخشكنانك[٨٢]. وفي عيد الأضحى اللحم، وفي شهر رمضان يطبخ لهم الطعام»[٨٣]. أما في المدرسة الناصرية فإنه «جعل للناظر أيضا أن يصرف من ريع الوقف إذا فضل عن المرتب المعين فيه، في ليالي الجمع والأعياد والمواسم وشهر رمضان، ما يراه في التوسعة عليهم، فإن تعذر الصرف لجهة من الجهات عاد الصرف إلى ما فيها، فإن تعذر صرف ذلك للفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا»[٨٤].

وبذلت بعض المدارس عناية كبيرة لتوفير بيوت لسكنى الطلبة فالمقريزي في كلامه عن المدرسة الصاحبية البهائية يصف التشاحن والتنافس بين الطلبة بهدف الفوز بالسكن في أحد بيوتها التي أعدتها لإقامة الطلبة، بل ويقبل الطالب منهم مشاركة آخرين في نفس البيت، ولعل في هذا كناية لما وفرته هذه البيوت الداخلية من راحة ورفاهية للطلاب لكي يتمكنوا من مواصلة دراستهم براحة نفسية، مطمئنين إلى أماكن إيوائهم واستقرارهم «وكانت من أجل مدارس الدنيا، وأعظم

مدرسة بمصر، تنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها، ويتشاحنون في سكنى بيوتها حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الإثنان من طلبة العلم والثلاثة»[٨٥].

أما المدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م فقد كان «للناس في سكناها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسا يرتفعون فيه إلى الحكام»[٨٦]، وهذا دليل على جودة المساكن التي توفرها المدارس للطلبة.

أما عن المدرسة الظاهرية أو البرقوقية التي أسسها السلطان الظاهر برقوق فقد «جعل فيها خطبة، وقرر فيها صوفية على عادة الخوانق ودروساً للأئمة، وتغالي في ضخامة البناء»[٨٧]. ويصف السخاوى مدرسة الظاهر برقوق «بالمدرسة الفائقة» حيث يذكر أنها كانت «بين القصرين، لم يتقدم بناء مثلها في القاهرة. . قرر فيها أربعة من المذاهب، وشيخ تفسير، وشيخ إقراء، وشيخ حديث، وشيخ ميعاد بعد صلاة الجمعة»[٨٨]. إذن فالمؤسسة الدينية التعليمية التي بناها الظاهر برقوق كانت عبارة عن مسجد جامع وخانقاة للصوفية ومدرسة لطلبة العلم. وعلى ذلك فقد تطور الوضع من إنشاء مسجد فقط، وتأسيس مدرسة مستقلة إلى إنشاء مؤسسة دينية تعليمية واحدة تضم المسجد الجامع مع المدرسة ثم أضيفت إليها الخانقاة أيضا.

يستفاد من ذلك كله أنه وجدت في هذه المدارس مساكن للطلبة والمدرسين ليعيشوا بها، وتكون المقر الدائم لإقامتهم حتى ينهون دارستهم، إلى جانب ما كان يصرف لهم من مرتبات يتعيشون منها. وقد عمرت هذه المدارس بالمدرسين والمعيدين والطلبة والمباشرين والفراشين، إلى جانب وجود إمام ومؤذن لإقامة الصلوات الخمس، وقد كان لكل هؤلاء الرواتب الثابتة[٨٩].

وبالإضافة إلى ماكانت تؤديه هذه المدارس من وظائف علمية وتعليمية، فإنها كانت تستخدم أيضا لإقامة الشعائر الدينية، وإقامة الصلوات الخمس أي أماكن للعبادة ومراكز للوعظ والإرشاد التهذيبي[٩٠]، ويستدل على ذلك من قول المقريزي في كلامه عن المدرسة الصالحية: «فلما كان في يوم الجمعة حادي عشرى ربيع الأول سنة ثلاثين وسبعمائة رتب الأمير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك[٩١] جمال الدين الغزاوي خطيبا بايوان الشافعية من هذه المدرسة، وجعل له في كل شهر خمسين درهما، ووقف عليه وعلى مؤذنين وقفا جارياً فاستمرت الخطبة هناك إلى يومنا هذا[٩٢]. كما أشار الناصر محمد في الوصية الخاصة بالمدرسة الناصرية إلى ضرورة وجود الأئمة والمؤذنين والقراء لإقامة الصلوات الخمس، فقد جاء في شروط وصية الوقف: «وجعل للناظر أن يرتب بالقبة المذكورة إماماً يؤم المسلمين في الصوات الخمس، ويفعل ما يفعله الأئمة على مايراه الناصر من المذاهب، ويؤدي إليه اجتهاده، وَيَصْرِف له في كل شهر بالحلال ثمانين درهما أو ما يقوم مقامها[٩٣]، واشترط على الناظر أن يرتب بالقبة شيخاً لإقراء الحديث النبوي، وَيَصْرِف له من ريع الوقف في كل شهر ثلاثين درهماً نقرة، ويرتب بالمدرسة من القراء الحافظين لكتاب الله العزيز خمسة وعشرين نفرا، ويصرف لهم في كل شهر خمسمائة درهم. ومن المؤذنين ثمانية في القبة والمدرسة لإعلان الأذان وإقامة الصلوات والتسبيح وَيَصْرِف للإثنين الرئيسيين في كل شهر مائتي درهم وثلاثين درهماً نقرة، ويصرف للستة الباقين في كل شهر مائة وخمسين درهماً[٩٤]. كان الحصول على منصب في أحد المدارس هدف الكثيرين من القضاة ورجال الدولة، فيشتد التنافس

والخلاف بينهم طمعا في هذه المناصب المدرسية، سواء التدريس أو النظر أو الإشراف، فإن وفق أحدهم في الحصول على إحدى الوظائف اجتهد في جعلها وراثية لأبنائه من بعده، ثم أحفاده وذريتهم، أي يتم ربطها بشخصيات إحدى الأسر.

وكان شرط وصية الواقف في أن يخلف الأبناء والدهم في التدريس وتحويل الوظيفة إلى منصب وراثي من الأمور الرئيسية التي تسببت في أن يؤول هذا المنصب لمن لا خير فيهم في مجال العلم والتعليم من ذرية المدرس، وحرمان الفضلاء من الفقهاء من الارتقاء لهذا المنصب، وعدم استفادة الطلبة من علومهم. وكان التقيد بشروط الواقف من الأمور التي زادت الوضع تعقيدا وسوءاً، من ذلك ماحدث من صراع بين شمس الدين محمد السخاوي وبين أبناء إمام دار الحديث الكاملية[٩٥]، ذلك الصراع الذي طال وعجز فيه السلطان عن حل شرط الواقف في وراثة الأبناء في التدريس، ولم ينجح فيه السخاوى في الوصول إلى وظيفة التدريس في دار الحديث الكاملية رغم محاولاته الكثيرة[٩٦].

يفهم من هذه الحادثة أنه حين ينص في وصية الوقف على وراثة الأبناء لآبائهم في وظيفة التدريس يكون من الصعب بعد وفاة الواقف حل هذا الشرط، ويكون التقيد به أمراً ضرورياً احتراماً لرغبة الواقف ووصيته. ونتيجة لذلك يصبح من المستحيل على العلماء من أمثال السخاوى الوصول إلى مثل هذه الوظائف، حتى ولو ضمنوا مناصرة السلطان لهم في محاولاتهم هذه. كما كان من غير المستحب أن يعمل السلطان على منع الناظر من تنفيذ شروط الواقف، حيث إن بقاء الناظر في وظيفة النظر كان مرتبطاً بتقيده بشروط وصية الواقف. بالإضافة إلى أنه كان من المتعارف عليه بيع هذه الوظائف من قبل أصحاب الاستحقاق، مثلما تم بيع وظيفة مشيخة الحديث في الكاملية بمبلغ ستين دينارا[٩٧]، دون أدنى اهتمام بأن يعهد بها لمن تؤهله علومه للقيام بالتزاماتها ومسئولياتها في التهذيب والتعليم. وتذكر المصادر المملوكية أنه كان يحدث في بعض الأحيان أن يقوم المدرس بوظيفة النظر في أوقاف المدرسة إلى جانب قيامه بوظيفة التدريس، من ذلك ما حدث في المدرسة الناصرية بالقرافة حيث رُتِّب بها مدرسٌ «يدرس الفقه على مذهب الشافعي، وجعل له في كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين ديناراً... وعن معلوم النظر في أوقاف المدرسة عشرة دنانير، ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلاً بالمصري، وراويتين من ماء النيل[٩٨]».

ومن ناحية أخرى يظهر في نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية الناصرية كتب لقاضي القضاة تقي الدين ابن قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ـ أن هذه الوظيفة توكل لمن تؤهله أخلاقه وسمعته وعلمه للقيام بمسئولية هذا المنصب، حيث يتم تعيينه بأمر سلطاني لينشر علمه بين طلاب المعرفة ويكون في ذلك قدوة لعلماء عصره [٩٩].

وإذا حدث وترامى إلى سمع السلطان فشل المدرس الذي عينه في القيام بأعباء مسئولياته كاملة، فانه يتم إحضار هذا المدرس بين يدي السلطان للتحقيق في الأمر [١٠٠]. وكان المدرس يقوم بتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه أو النحو والتصريف أو غير ذلك حسب تخصصه، ويأتي من بعده المعيد الذي يعيد ما سبق أن شرحه المدرس لكي يفهمه الطلبة [١٠١]. وكان لزاما على المدرس أن يعامل الطلبة وكأنهم أبناؤه[١٠٢].

ويلاحظ ارتباط هذه المدارس بالمذاهب الإسلامية الأربعة فيختص بعضها للفقهاء الشافعية، وبعضها للفقهاء المالكية، وبعضها للحنفية [١٠٣]. وفي بعض الأحيان يكون في مدرسة واحدة درس للطائفة الشافعية، ودرس للطائفة الحنفية [١٠٤]. كما وجدت مدارس بها دروس أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة، مثلما وجد في المدرسة الناصرية من تدريس المذاهب الأربعة على يد كبار الفقهاء ومعهم المعيدون والطلاب كل مجموعة في إيوان، المالكية في الإيوان القبلي، والشافعية في الإيوان البحري، والحنفية في الإيوان الشرقي، والحنابلة في الإيوان الغربي، ويراعى تحديد عدد المعيدين والطلبة حسب أوامر الناظر[١٠٥]. وعنيت بعض المدارس بتدريس علم الطب مثل المدرسة المنصورية [١٠٦]. ووجد من أهل الدين والعلم من إذا بنى مدرسة، وانتهى منها، ووقف عليها الأوقاف الجليلة، باشر التديس بها بنفسه [١٠٧]، فالشيخ هبة الله بن علي بن السديد الأسنائي مجد الدين ت سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م [١٠٨] تولى التدريس في مدرسته التي أنشأها في بلدة أسنا، ووقف عليها بساتينه، وكان يعمل للطلبة فيها طعاما طيبا [١٠٩]. إلى جانب ما كانت تؤديه بعض المدارس من منافع تتفق مع كونها مكان عبادة ودرس، كانت تقوم أيضا بوظيفة الخانقاة، حيث تصبح مقرا لإيواء الصوفية، وممارسة وظيفة التصوف، واستضافة الواردين من الفقراء[١١٠]. فالمدرسة المهمندارية التي بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزي المهمندار ونقيب الجيوش في سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م «جعلها مدرسة وخانقاة» [١١١]، والمدرسة الجمالية التي بناها الأمير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالي سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م «جعلها مدرسة للحنفية وخانقاة للصوفية»[١١٢].

إلى جانب ذلك ضمت معظم هذه المدارس خزانة كتب بهاأمهات الكتب في مختلف العلوم [١١٣]. واحتوت بعض المدارس على كتب تكون من جملة الموقوف للتعليم في هذه المدارس [١١٤]، فالمدرسة الفاضلية كان بها جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم، يقال إنها كانت مائة ألف مجلد [١١٥].

أما المدرسة المحمودية التي أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م فقد «عمل فيها خزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها، وهي باقية إلى اليوم، ولا يخرج لأحد منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن»[١١٦]. وكان من المعتاد أن يعين لخزانة الكتب في المدرسة مشرفٌ يتولى العناية بها والاهتمام بما فيها، من كتب ومراقبة الإعارة ففي المدرسة الناصرية مثلا : «شاهدا لخزانة الكتب، بحفظ ما فيها من الكتب، ويضبط ما يؤخذ منها للاشتغال بها، بحيث لا تخرج الكتب من المدرسة، ويصرف له في كل شهر ثلاثين درهما، أو ما يقوم مقامها من النقود [١١٧].

كما كان من المتعارف عليه بين محبي الخير وقف الكتب [١١٨]، حيث يتم تعيين بعضها لتكون للدرس والاطلاع لراغبي العلم والطلبة والباحثين عن المعرفة، دون أن يكون لأحد فيها حق البيع أو الاستبدال أو الإعارة غير المضمونة. ويشير ابن حجر في كتابه «الدرر الكامنة» إلى كثير من أمثال هذا في تراجم الفضلاء من الناس [١١٩]. وكان البعض حين يبني مدرسة يوقف فيها كتبا جيدة [١٢٠]، كما اهتم أهل العلم بوقف كتبهم على الطلبة[١٢١]، وقد يكون السبب من وراء ذلك هو صعوبة حصول الطلبة على الكتب، عكس الحال مع المدرسين، إما لأسباب مادية، أو لأسباب

اجتماعية. وكان بعضهم يحرص حين يوقف كتبا أن يضعها في مسجد أو جامع [١٢٢] ليسهل على العلماء والطلبة الحصول عليها.

وكان يتفانى في بناء هذه المدارس من الخشب الطيب للأبواب والرخام الأبيض والملون ومختلف القناديل وبأعداد زائدة [١٢٣]. وعلى سبيل المثال نجد أن باب المدرسة الناصرية «من الرخام الأبيض البديع الزي الفائق الصناعة، ونقل إلى القاهرة من مدينة عكا. . . . وهي من الرخام قواعدها وأعضادها وعمدها كل ذلك متصل بعضه ببعض فحمل الجميع إلى القاهرة. . . .[١٢٤].

كذلك تجدر الإشارة إلى المدرسة الطيبرسية فقد «تأنق في رخامها وتذهيب سقوفها حتى جاءت في أبدع زي وأحسن قالب وأبهج ترتيب، لما فيها من اتقان العمل وجودة الصناعة، بحيث إنه لم يقدر أحد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام، فإن جميعه أشكال المحاديب، وبلغت النفقة عليها حملة كثيرة، وانتهت عمارتها في سنة تسع وسبعمائة، ولها بسط تفرش في يوم الجمعة كلها منقوشة بأشكال المحاديب أيضا»[١٢٥]. وعند الانتهاء من عملية البناء والزخرفة في هذه المدارس كان يحتفل احتفالا كبيرا بافتتاحها، حيث تمد الأسمطة، وتنشد الأناشيد، وتوزع الخلع على العلماء وأهل الحديث والقراء والمدرسين[١٢٦].

وبالإضافة إلى كل ما ذكرناه من إنشاء المدارس والمكتبات ومكاتب الأيتام عنى أهل الخير أيضا ببناء دور للحديث، وعلى سبيل المثال ما يذكره الإدفوي من أن محمد بن بشائر القوصي الأخميمي ت سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٣ م «بنى مكانا للحديث»[١٢٧]. إلى جانب دار الحديث الكاملية التي سبقت الإشارة إليها والتي تعرف بالمدرسة الكاملية[١٢٨]. وكان ازدهار العصر بعدد كبير من العلماء والفقهاء وأهل الشرع والشريعة من أهم الأسباب التي هيأت لتلك الحركة العلمية الظهور والتفوق، فكما سند الثراء هذه المدارس والمكتبات ومكاتب السبيل ودور الحديث من الناحية الاقتصادية ـ كانت تلك الطبقة المتعلمة والحريصة على طلب العلم ونشر التعليم سندا أكاديميا قويا، كفل لتلك الحركة العلمية فرصة الاستمرار والتقدم.

**ثالثا: الخانقاوت**

يعود الفضل إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي في إنشاء أول المراكز الدينية التعليمية في مصر وذلك في سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م حين أنشأ الخانقاة [١٢٩] الصلاحية دار سعيد السعداء[١٣٠].

وتعتبر خانقاة ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري أَجَلّ خانقاة بالقاهرة من ناحية البناء والأهمية حيث بدأ في بنائها سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٦ م، وبنى بجانبها رباطا كبيرا يمكن الوصول إليه من داخلها[١٣١]. وقد استغرق بناؤها ثلاث سنوات حيث قرر فيها «أربعمائة صوفي، وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت، وجعل بها مطبخا يفرق على كل منهم في كل يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر، وجعل لهم الحلوى، ورتب بالقبة درسا للحديث النبوي له مدرس وعنده عدة من المحدثين، ورتب القراء الشباك الكبير يتناوبون القراءة فيه ليلا ونهارا. ووقف عليها عدة ضياع بدمشق وحماه ومنية المخلص بالجيزة من أرض مصر وبالصعيد والوجه البحري والربع والقيسارية بالقاهرة»[١٣٢].

وقد وصلت الخانقاوات في العصر المملوكي أعلى درجات الارتقاء في التنظيم وأساليب الدرس ونخبة العلماء المشرفين على حلقات الدراسة والوعظ والتفسير من ذلك على سبيل المثال لا الحصر خانقاة سرياقوس[١٣٣].

وقد رتب الشيخ مجد الدين أبي الثناء محمد الأقصرائي الشافعي شيخا للخانقاة[١٣٤]، وقد اختير لدينه وتقواه وزهده وخشوعه وجلالة علمه[١٣٥].

ولا شك أن اختيار الشخصية المناسبة لوظيفة مشيخة الخانقاة[١٣٦] من الأمور الدقيقة، التي تتطلب اهتماما كبيرا، إذ لابد أن يتوفر في الشيخ شروط ومواصفات ينفرد بها دون غيره من الشخصيات، وهذه الفضائل تكون معينا له في خلق حياة منظمة داخل الخانقاة، والاستمرار في القيام بمسئوليتها الدينية والتعليمية على خير وجه، فلا يطغى جانب على آخر ولا يهمل نشاط على حساب نشاط آخر.

ويلاحظ اهتمام أصحاب الخوانق في تنظيم عملية توزيع الغذاء اليومي والمصروف الشهري والمواد الإستهلاكية فيذكر المقريزي في كلامه في خانقاة الأمر بكتمر الساقي أنه «استقر في مشيختها الشمسي شمس الدين الرومي ورتب له عن معلوم المشيخة في كل شهر مائة درهم وعن معلوم الإمامة مبلغ خمسين درهما، ورتب معه عشرين صوفيا لكل منهم في الشهر مبلغ ثلاثين درهما فجاءت من أجل ما بني بمصر، ورتب بها صوفية وقراء، وقرر لهم الطعام والخبز في كل يوم والدراهم والحلوى والزيت والصابون في كل شهر»[١٣٧].

وكان تدريس الطلبة وتعليمهم أحد الأهداف الرئيسية لبعض الخانقاوات من ذلك خانقاة شيخو التي أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمري سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م. «ورتب بها دروسا عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة، وهم الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، ودرسا للحديث النبوي، ودرسا لإقراء القرآن بالروايات السبع، وجعل لكل درس مدرسا، وعنده جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف.. وتخرج بها كثير من أهل العلم»[١٣٨]. وعلى ذلك يمكن القول إن الخانقاة كانت تؤدي أيضا وظيفة المدرسة لتعليم وتخريج الطلاب. كما عني في بعض الخانقاوات ببناء كتاب يقرأ فيه أطفال المسلمين الأيتام كتاب الله تعالى، ويتعلمون الخط، ولهم في كل يوم الخبز وغيره[١٣٩].

**رابعا: الزوايا**

أما الزوايا[١٤٠]فقد ارتبطت بأسماء شخصيات دينية معروفة بالفضيلة مشهورة بالفقه، ولهم أتباع ومريدون ومعارف، كما كان لهم أيضا حظوة لدى السلاطين المماليك[١٤١]. بل يذكر المقريزي أن بعضهم «كان يجلس للوعظ فتجتمع إليه الناس ويذكرهم ويروى الحديث ويشارك في علم الطب وغيره من العلوم»[١٤٢]. وبعبارة أخرى يمكن القول أن كل شيخ من هؤلاء كان يمثل مع طلابه ومريديه مدرسة أخلاقية، قائمة بذاتها، متسمة بأفكار خاصة وتيارات دينية متميزة، ومرتبطة برباط معين يهيىء لها نوعا من الاستقرار المعيشي. كما كان من هؤلاء الشيوخ من «عرف بالخير والصلاح وكتب على الفتوى، ودرس بالجامع الأزهر وغيره، وتصدى لأشغال الطلبة عدة سنين[١٤٣]

ومن جانب آخر يذكر السبكي أنه كان من حق شيخ الزاوية «تهيئة الطعام للواردين والمجتازين، ومؤانستهم إذا قدموا، بحيث تزول خجلة الغربة عنهم. ولا بأس بإفراد مكان للوارد، لئلا يستحي وقت أكله وراحته»(١٤٤).

وقد كانت الزاوية مركزا للتصوف وسماع القرآن الكريم والحديث(١٤٥). كما اقتصرت خدمات بعض الزوايا حسب وصية الواقف على أصحاب الحاجة والمعوزين(١٤٦). وكان بعض أصحاب الزوايا يوصي بأن يدفن في زاويته(١٤٧)، ومن هنا يمكن القول بأن الزوايا كانت تؤدي منافع تعليمية واجتماعية لطلاب العلم والفقراء. إلى جانب أنها كانت مركزا تصوفيا لمن يرغب في الانقطاع عن المجتمع والانصراف كلية للعبادة والزهد. وكان الزهاد في الزوايا يرفضون المساعدة المالية التي كانت يقدمها لهم بعض الأمراء المماليك، ويفضلون العيش بالقليل مما يرد إليهم من ريع الأوقاف(١٤٨).

**خامسا: الأربطة**

كذلك كان للأربطة(١٤٩) دور كبير في خدمة أغراض التصوف والانقطاع للعبادة والتعليم. وقد كان معروفاً أن الرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم حيث يتم الصرف عليهم من ريع أوقافه(١٥٠). ومن أشهر الأربطة في مصر زمن المماليك رباط الآثار(١٥١). وقد أنشأه الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب حيث عرف برباط الآثار لأن فيه قطعتين من الخشب والحديد يقال إنهما من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، اشتراهما الصاحب تاج الدين هذا بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني إبراهيم أهل ينبع في الحجاز. وفي عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون قرر فيه درساً للفقهاء الشافعية، وجعل له مدرساً، وعنده عدة من الطلبة تصرف لهم مرتبات في كل شهر من وقف وقفه عليهم. ثم وقف السلطان الظاهر برقوق قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط. ويحتوي رباط الآثار هذا على خزانة كتب(١٥٢). وكان الناس يقصدون هذا الرباط طلباً للبركة لما يحتويه من آثار نبوية يعتقدون النفع بها(١٥٣).

أما رباط الأفرم الذي ينسب إلى الأمير عز الدين أيبك الأفرم فقد «رتب فيه صوفية وشيخاً وإماما، وجعل فيه منبراً يخطب عليه للجمعة والعيدين. وقرر لهم معاليم من أوقاف أرصدها لهم»(١٥٤). إذن تؤكد هذه العبارة أن الرباط هو بيت الصوفية فيكون لهم مأوى ومدرسة. إلى جانب ما يؤديه هذا الرباط بالذات من مسئولية الجامع الذي يؤمه المسلمون لتأدية صلاة الجمعة والعيدين. وقد هيأ ريع الوقف الجاري الفرصة لهذا المركز الديني التعليمي للاستمرار في تأدية الأغراض المطلوبة. وكان حرص أصحاب الأربطة على استمرارها في تحقيق الأهداف الدينية والتعليمية سببا رئيسيا في أن يكثر هؤلاء المؤسسون من رصد الأوقاف العديدة، فرباط العلائي مثلا «وقف عليه بستان الجرف، وبستاناً بناحية شبرا، وعدة حصص من قرى فلسطين والساحل وأحكاراً ودوراً بجانب الرباط(١٥٥). وكانت هذه الأملاك المتنوعة توفر ريعاً للصرف على كافة الأغراض ومختلف الأسباب.

وقد اقتصرت بعض الأربطة على خدمة النساء وتعليمهن وإيوائهن مثل رباط البغدادية الذي أسسته تذكار باي خاتون ابنة السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م(١٥٦)، وأوكلت مهمة

الإشراف على جميع مسئولياته إلى الشيخة زينب ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية[١٥٧]. وقد ضم هذا الرباط «النساء اللاتي طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن صيانة لهن لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات»[١٥٨]. كذلك اهتم الفقهاء ببناء الأربطة ووقف الأوقاف عليها[١٥٩].

**العلوم ونظام التدريس**

تحدثنا النصوص التاريخية المملوكية عن عدد غير قليل من العلوم التي نبغ فيها مجموعة كبيرة من علماء العصر المملوكي مثل ابن تيمية وبدر الدين ابن جماعة وشمس الدين السخاوى وآخرين.

وتأتي قراءة القرآن الكريم وتفسيره على رأس هذه العلوم. وكذلك الحديث الشريف، وأصول الشريعة الإسلامية، والفقه والمذاهب الإسلامية الأربعة. وإلى جانب العلوم الدينية انتشرت دراسة العلوم اللغوية مثل النحو واللغة والأدب. كما يتضح الاهتمام بدراسة الطب وعلم الأنساب[١٦٠].

وقد كان جامع ابن طولون «عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو»[١٦١].

وقام المدرسون بتدريس «فروع العلوم المختلفة التي جرى العرف بتدريسها في تلك العصور والتي غلبت عليها الدارسات الدينية، كل منهم حسب تخصصه»[١٦٢].

وقد كان هناك اهتمام واضح في دراسة الفقه حيث كان يوجد في الجامع العتيق وحده أكثر من ثمان زوايا لدراسة الفقه،[١٦٣] كما ضمت جوامع أخرى أماكن خاصة لدروس الفقه مثل جامع آق سنقر،[١٦٤] وجامع الخطيري ببولاق[١٦٥]. واحتوى جامع السلطان الناصر حسن على «المدارس الأربع» لدراسة المذاهب الفقهية الأربعة،[١٦٦] ومازالت آثار هذه المدارس موجودة حتى يومنا هذا.

وقد بلغت العناية بوظيفة التدريس درجة كبيرة حيث يذكر القلقشندي عدداً من «نسخ توقيع للتدريس» تم تصديرها لكبار القضاة والفقهاء[١٦٧]. وتبين هذه النسخ التي تفوض علماء بعينهم لوظيفة التدريس أبرز الشروط التي لا بد أن تتوفر في شخص المدرس حيث لا بد أن يتحلى بالأخلاق الحميدة التي كانت السبب الرئيسي في اختياره لهذه المهمة[١٦٨]. إلى جانب غزارة علمه وما يلم به من المعارف وما يتخصص به من الفضول والمذاهب[١٦٩]. ومن ثم يجتهد في أن يستفيد طلبته من علمه الغزير فيبذل لهم كل ما يملك من علم ومعرفة ونصيحة لكي يسيروا على خطاه[١٧٠]. كما يشترط في المدرس أن يكون قدوة لطلابه في الحلم والتسامح والبذل وعفة اللسان وصدق النصيحة[١٧١].

كذلك يوجز السبكي واجبات المدرس بقوله: «وحق عليه أن يحسن إلقاء الدرس، وتفهيمه للحاضرين، ثم إن كانوا مبتدئين فلا يلقى عليهم مالا يناسبهم من المشكلات، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق»[١٧٢].

وقد كان نظام الدراسة في المدرسة الصرغتمشية على أن يقرأ المدرس والمعيدين والطلبة

القـرآن الكريم في الإيـوان طلباً للثـواب لروح الـواقف الأمير صرغتمش وأهله. ثم يقـرأ المعيدون بحضور المدرس ثلاثة دروس من الفقه الحنفي بحيث يستمع الطلبة لهـذه الدروس تحقيقـا للفائـدة الشاملة. وفي أثناء ذلك يقوم المدرس على شرح ما يستعصى فهمه على الطلبـة. كما يـوضح لهم مـا عسر عليهم مما يشتغلون به من العلوم الشرعية. وكان هذا الاجتماع يتم بشكل منظم ومنتظم أربعة أيام في الأسبوع هي السبت والأحد والثلاثاء والأربعاء طوال العام مـاعدا في شهـور رجب وشعبان ورمضان وعيدي الفطر والأضحى والمناسبات الدينية الأخرى.(١٧٣)

كان تعيين المعيد يتم بصدور توقيع شريف كما هو الحال عندما استقر شمس الـدين محمد بن القاضي علم الدين بن القماح في الإعادة بمدرسة الشافعي في القرافة(١٧٤). وكانت وظيفته تقوم على إعادة ما شرحـه المدرس حتى يحسنـوا فهمه في مختلف العلوم الشرعيـة من التفسير والحـديث والفقه والنحو والتصريف وغير ذلك(١٧٥). فالمعيـد «يشرح لمن احتاج الشرح درسـه، ويصحح مستقبله، ويـرغب الـطلبـة في الاشتغـال، ولا يمنـع فقيهـا أو مستفيـداً مـا يـطلب من زيـادة تكـرار وتفهم معنى»(١٧٦). وقد بلغ من أهمية وظيفة المعيد أن القائم عليها أحياناً يعمل مدرساً في مدرسـة أخرى فقد كان الشيخ ظهير الدين جعفر بن يحيى بن جعفر القرشي الـتزمنتي الشافعي مـدرساً في المـدرسة القطبية بالقاهرة، ومعيداً بمدرسة الشافعي(١٧٧).

وقد نصت وثيقة الأمير صرغتمش صراحة على ضرورة انتظام الطلبة في حضـور الدرس مـع المـدرس طوال الأيـام الأربعة المحـددة أسبوعيـا حيث يستمر الـدرس مـا بـين طلوع الشمس حتى الزوال. ومن ينقطع منهم «ثلاثة أيام من كل أسبوع بغير عذر قطع ونزل مكانه»(١٧٨).

كما يورد القلقشندي عدداً من التوصيات على مهمة التدريس من مدرسين ومقرئـين ومحدثـين ونحاة وكلها تتنـاول ما يجب أن يكـون عليه هؤلاء من أخـلاق رفيعة، وسلوك مستقيم، وبـذل غير محدود في العلم والمعرفة، وإخلاص في النصيحة، وكرم في التوجيه والإرشاد كل ذلك لأجل تخـريج جيل من المتعلمين للسير على خطاهم القوية(١٧٩). كما تتـوفر هـذه التوصيـات أيضا ضمن سـطور نسخة توقيع بتدريس الطب بالبيمارستان المنصـوري لكي يحصل طلبـة الطب المنفعـة المطلوبـة التي تؤهلهم للقيام بهذه الوظيفة مستقبلا(١٨٠). وأحيانا كان ينص على عدد المدرسين في مـدرسة بعينهـا فمثلا المدرسة القمحية التي كانت أجل مدرسة للفقهاء المالكية «رتب فيها أربعـة من المدرسـين عند كل مدرس عدة من الطلبة»(١٨١).

بالإضافـة إلى ذلك أورد ابن جمـاعة في كتـابه «تـذكرة السـامع والمتكلم» إثنى عشر شرطـاً في آداب المعلم أثناء الدرس وما ينبغي أن يكون عليـه من تواضـع وإقبال عـلى الدرس والـطلبة. وأن يكـون واضحاً في كـلامه، متـأدباً في ألفـاظه، فـاضلا في سلوكـه حتى يستفيـد الـطلبـة من علمـه وآرائه(١٨٢).

ولا شك أن عناية ابن جماعة بوضـع هذه الشروط حـول سلوك المعلم في الدرس من أسبـابها أن بعض المعلمين كانوا يسيئون التصرف ويبتذلون في الكلام غير المفيـد مما حـدا بابن جمـاعة بيـان هذه النصوص كي يلتزم بها المعلم في مراكـز التعليم العديـدة في مصر في العصر المملوكي. خاصـة وأن نوعية مسلك المدرس في قاعة الدرس لـه علاقـة مباشرة ووثيقـة بمكانـة المدرس بشكـل خاص

والعالم بوجه عام سواء في المؤسسات التعليمية أو في المجتمع ككل.

في كثير من الأحيان كان يحدد قدر المرتب الذي يتقاضاه القائم على التدريس في المدرسة فعلى سبيل المثال أن المدرسة السيوفية «قرر في تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجبتي ورتب له في كل شهر أحد عشر ديناراً»[١٨٣].

وكان التدريس في بعض المدارس يقتصر فقط على «الحديث الشريف» فالمدرسة المزوبية كان بها «مدرس حديث فقط»[١٨٤] رغم سعتها وكثرة أوقافها ووجود مكتب سبيل ملحقا بها، ولعل سبب ذلك يعود إلى رغبة الواقف في أن تخدم مدرسته هذه دراسة ونشر الأحاديث النبوية لمن يرغب تمشيا مع تيار التخصص الذي طغى على نظام التعليم في مصر في العصر المملوكي. أما المدرسة الصاحبية فكان يدرس بها النحو.[١٨٥] كما اختصت المدرسة السيوفية بتدريس المذهب الحنفي[١٨٦] والمدرسة القطبية بتدريس المذهب الشافعي[١٨٧].

وعندما تكون المدرسة كبيرة في مساحتها وبنائها وأوقافها تزداد التخصصات بها، فقد كان في المدرسة الظاهرية دروس الشافعية، وكذلك الحنفية، إلى جانب دراسة الحديث الشريف.[١٨٨] ورغبة في صاحبها السلطان الظاهر بيبرس البندقداري في قيام علماء هذه العلوم بواجباتهم على أحسن وجه «جعل بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم»[١٨٩] وكذلك الحال في المدرسة المنصورية حيث وجد في قبتها» خزانة جليلة كان فيها عدة أحمال من الكتب في أنواع العلوم»[١٩٠].

كما عنيت بعض المدارس بتنظيم دروس أربعة للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة مثل المدرسة الصالحية، والمدرسة المنصورية،[١٩١] والمدرسة الناصرية[١٩٢] والمدرسة المنكوتمرية[١٩٣].

وقد اختصت بعض المدارس فقط بقراءة القرآن الكريم حيث يقرر فيها صاحبها «قراء يتناوبون قراءة القرآن»[١٩٤].

وكان يقرر في كل مدرسة مدرس أو أكثر حسب عدد التخصصات التي توفرها المدرسة. في بعض الأحيان كان المعيد يقوم بمهمة التدريس دون وجود مدرس معه فمن ذلك على سبيل المثال أن المدرسة الناصرية بالقرافة «خلت من مدرس ثلاثين سنة واكتفى فيها بالمعيدين وهم عشرة أنفس».[١٩٥]

وقد خصصت أماكن معينة في المارستانات لكي تستخدم في التدريس ففي المارستان المنصوري خصص «مكان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس طب»[١٩٦].

وفي هذا دلالة أكيدة على تطبيق مبدأ التخصص في المدارس حيث اختصت كل مدرسة بعلم محدد، وترتب على ذلك أن الطالب الذي يريد ان يتبحر في علم بذاته يتجه إلى المدرسة التي تهيء مثل هذا التخصص ولا شك أنه سيترتب على ذلك تخريج جماعات من الباحثين المتخصصين سيكون لهم دور مهم في نقل هذه المعارف والعلوم التخصصية إلى غيرهم من الباحثين.

يبدو أن بعض العلماء كان حريصا على أن يرتب حلقات علم للعامة في المراكز الدينية

والمؤسسات العلمية وغيرها من الأماكن العامة من أجل تثقيفهم وتنويرهم بأمور دينهم ودنياهم، ولما فيه منفعتهم وصلاحهم. وكانوا يفعلون هذا بدون مقابل طلبا للأجر والثواب. (١٩٧)

ويختار من الطلبة شخصان نقيبان لضبط الحضور والغياب، وتجهز الربعة الشريفة وتفرقها ثم حفظها بعد انتهاء فترة القراءة. ويصرف لكل منها خمسة دراهم نقرة إضافة إلى المرتب الشهري. (١٩٨)

كذلك وجد في المدرسة الصرغتمشية قيمان يتوليان توفير الوقود اللازم للقناديل في جميع أرجاء المدرسة، إلى جانب إشعال هذه القناديل وإطفائها وتنظيفها، وكان يصرف لكل منهما في كل شهر ثلاثون درهما نقرة. (١٩٩)

وهنا يجب أن نوضح أن مرتبات ومنح المدرسين وأرباب الوظائف بالمدارس المملوكية تختلف من مدرسة إلى أخرى وفقا للشروط التي وضعها الواقف في وثيقة الوقف الخاصة بالمدرسة.

وحظيت المرأة في العصر المملوكي بمكانة كبيرة في مجالس العلم إذ نالت نصيبا وافرا من التوجيه التربوي والتعليمي. (٢٠٠)

واشتهرت بعض سيدات المجتمع المصري في سلطنة المماليك برواية الحديث الشريف والرواية والتفسير. (٢٠١)

وقد تتلمذ عدد من علماء دولة المماليك على يد محدثة مشهورة هي ست الوزراء، وبلغ هؤلاء التلاميذ فيما بعد شأوا كبيرا في حقل العلم والتعليم مثل الفقيه العالم شرف الدين إبراهيم بن اسحاق المناوي (٢٠٢) والمحدث مجد الدين إبراهيم بن أسعد القلانسي (٢٠٣).

كذلك تتلمذ بعض علماء الدولة المملوكية على يد السيدات العالمات حيث يشير المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي أنه حصل على إجازات علمية من بعض العالمات مثل آمنة ابنة الصدر أحمد، (٢٠٤) وآمنة ابنة الشمس محمد بن إبراهيم الرشيدي، (٢٠٥) وغيرهن عديدات (٢٠٦).

**المدرسون والمعيدون**

كان تعيين المدرسين في مدرسة بذاتها جزءاً من تأسيس هذه المدرسة أو تلك لكي يؤمن صاحب المدرسة وجود من يقوم بمهمة التدريس حيث يكون لهؤلاء سكن معروف وراتب محدد وكان ينص على عدد المدرسين في كل مدرسة ففي المدرسة القمحية على سبيل المثال «أربعة من المدرسين». (٢٠٧) وفي مدرسة جمال الدين الأستادار ستة مدرسين. (٢٠٨)

أما المدرسة الصرغتمشية فقد كان فيها عالم فقيه في المذهب الحنفي له صلاحية تعيين ثلاثة من المعيدين أكفاء يشرف كل منهم على ستين طالبا(٢٠٩).

وقد عنى السلاطين المماليك والأمراء وأغنياء المجتمع باختيار العلماء للتدريس بمدارسهم من بين الأكفاء المشهورين بالعلم والمعرفة والفضل.

كما بذلت عناية مشابهة في مسألة تعيين المدرسين في مختلف المؤسسات التعليمية الأخرى من

جوامع ومساجد وخانقاوات وزوايا وأربطة.

فقد كان كبار علماء العصر يتولون التدريس في مختلف الجوامع مما يؤكد اهتمام أصحاب السلطة بأن يعهدوا بمهمة التدريس إلى كبار القضاة والمشايخ والفقهاء. وفي الجوامع السلطانية كان السلطان المملوكي حريصا على التواجد يوم افتتاح الجامع، بل يقوم شخصيا بتوزيع الوظائف التعليمية بين كبار العلماء الحاضرين في حفل الافتتاح مثل جامع الظاهر [٢١٠]، والجامع الناصري[٢١١]، والجامع المؤيدي. [٢١٢]

وبالنسبة لمدرسة أجلاي اليوسفي فقد «استقر في تدريس الشافعية بها الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي تدريس الحنفية جمال الدين محمود القيسري». [٢١٣] [٢١٤]

أما عن تحديد المرتب الشهري للقائم على وظيفة التدريس فكان ينص على ذلك في وثيقة الوقف فعندما قرر الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الحيتي في تدريس المذهب الحنفي في المدرسة السيوفية «رتب له في كل شهر أحد عشر دينارا». [٢١٥]

أما في مدرسة الأمير جمال الدين الأستادار فقد «جعل لكل مدرس ثلثمائة درهم في كل شهر». [٢١٦]

وقد كان يصرف للمدرس في المدرسة الصرغتمشية في كل شهر ثلثمائة درهم نقرة، ومن الزيت الطيب خمسة أرطال، ومن الصابون خمسة أرطال. كما يصرف له في شهر رمضان من كل عام خمسة أرطال سكر [٢١٧]. علاوة على ذلك يصرف ناظر وقف المدرسة في كل سنة في موسم البطيخ والعنب إثنى عشر درهما نقرة [٢١٨]. كما كان لكل معيد من المعيدين الثلاثة في المدرسة الصرغتمشية في كل شهر سبعون درهما نقرة، ورطلان ونصف رطل زيت طيب [٢١٩]، ورطلان صابون. بالإضافة إلى ثلاثة أرطال سكر في شهر رمضان[٢٢٠].

كما يصرف لكل معيد في موسم البطيخ والعنب في كل سنة ستة دراهم نقرة [٢٢١].

وقد وضع محمد بن إبراهيم بن جماعة في كتابه «تذكرة السامع والمتكلم» إثنى عشر شرطا في أدب العالم في نفسه ومراعاة طلابه ودرسه. الأول أن يراعى في كلامه وأفعاله أن الله سبحانه وتعالى رقيب على كل ما يأتيه، فيختار من الكلام المفيد ومن الأعمال النافع. الثاني أن يعمل على رفع شأن العالم ويضيف إليه ما يزيده شرفا ورفعة. الثالث أن يترفع بالعلم عن متاع الدنيا الزائل فإن القناعة كنز والعلم خير ما يتحصن به ضد فتنة الماديات الرخيصة. الرابع ألا يتخذ من العلم سلما إلى رفعة أو مال أو سمعة أو شهرة، فالعلم وسيلة لخدمة الانسانية وهو الهدف الذي يجب أن يسعى إليه. الخامس أن يبتعد عن المنازعات الشخصية أو يستخدم العلم لجني المكاسب القليلة، بل يجب أن يوحد بالعلم كلمة المسلمين والمتخاصمين. السادس أن يحافظ على أداء الفرائض الشرعية كالصلاة والصيام، وأن يؤم المسلمين في صلاة الجماعة، ويبين للعامة مبادىء الإسلام الحنيف، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويرد الأذى عن الضعفاء، ويأخذ الحق من الأقوياء. السابع أن يذكر الله قياما وقعودا في تلاوة القرآن الكريم وتفسير آياته، ودراسة الحديث الشريف وبيان معانيه وأهدافه. الثامن أن يعزز التعامل بين الناس وفقا للأخلاق العالية متخذا من المبادىء الإسلامية

قدوة للسلوك العام مثل التواضع والإحسان والتسامح والعطف وغير ذلك من سمو الصفات.

التاسع أن يكون طيب الأخلاق، نقي السريرة، بعيدا عن الحقد والمكر والخبث والغش والبخل، واضحا في معاملة جميع الناس على اختلاف مستوياتهم على قدم المساواة لا فرق بين كبير أو صغير، غني أو فقير.

العاشر أن يحرص على الاستفادة في معظم أوقاته من العلم، باذلا العزم والجهد في الاشتغال بالعلم بالقراءة والحفظ والتصنيف والبحث، وألا يشغل نفسه عن هذا العمل المفيد إلا وقت قضاء الأعمال الضرورية مثل الأكل والشرب والنوم وطلب الرزق ومراعاة لوازم الأسرة.

الحادي عشر أن يجتهد في أخذ العلم ممن سبقوه في حقل المعرفة، وممن لازالوا في بداية الطريق فلا يعيبه الإفادة مما لدى الأقل منه منزلة ومكانة من علم ومعرفة.

الثاني عشر أن يتفانى في الاطلاع على كل ما كتب وصنف ويتعلق في الوقت ذاته بموضوع يريد معالجته بالدراسة والبحث في سبيل استكمال كافة جوانب الموضوع للوصول إلى الأفضل(٢٢٢).

ولا شك أن هذه الشروط التي وضعها ابن جماعة حول أخلاق وسلوك المعلم كان الهدف منها أن يكون المعلم مثالا يحتذى به من طلبته. فان تم لطالب العلم هذا المسلك الأخلاقي الفضيل ضمن المعلم أن طالبه هذا سيتخذ من العلم مشعلا يضيء به طريق الناس جميعا.

كما توضح هذه الشروط الأسلوب الأساسي في التربية الإسلامية في المجتمع المصري في العصر المملوكي حيث كان التركيز رئيسيا وواضحا على أن التربية لها الأولوية من العناية والرعاية بين صفوف طلبة العلم. فاذا استنفد هذا الجانب التربوي حقه من التوجيه والنمو تحولت دفة الترشيد نحو طلب العلم وفق المعايير الأخلاقية الثابتة في سبيل شمولية المعرفة وعمومية الإفادة العلمية.

كذلك يوضح اهتمام ابن جماعة بوضع هذه الشروط الإقبال الكبير الذي وجد بين مختلف الطبقات الاجتماعية على طلب العلم مما استلزم بيان هذه الشروط التي يجب توافرها في المعلم.

ويشير السبكي إلى فئة العلماء فيقول : «منهم المفسر والمحدث والفقيه والأصولي والمتكلم، والنحوي وغيرهم. . . . ويجمع الكل أنه حق عليهم إرشاد المتعلمين، وإفتاء المستفتين، ونصح الطالبين، وإظهار العلم للسائلين»(٢٢٣)

علاوة على ذلك يوضح ابن جماعة في كتابه «تذكرة السامع والمتكلم» الأسس التي ينبغي أن يتبعها المعلم في علاقته بطلابه فيكون مخلصا فيما أوكل إليه من مسئولية القيام بتعليم هؤلاء الطلبة، هادفا إلى رفع مكانة الدين الإسلامي والمحافظة على مبادئه الحنيفة. كما يجب أن يكون مخلصا في أن يعطي للطلبة كل ما لديه من العلم ولا يبخل عليهم بما عنده من معرفة وآراء. وأن يشجعهم على الإقبال على العلم دون ملل أو تردد، وأن يوجههم التوجيه المخلص لما فيه مصلحتهم ومنفعتهم. وأن يكون معهم لطيفا متواضعا فيكسب ثقتهم به الأمر الذي يشجعهم على الاجتهاد في التحصيل دون كلل. وأن يبذل الجهد في تسهيل مواد الدراسة، وتفسير معاني الأجزاء الصعبة، مع الإكثار

من الشرح والتكرار لهدف الفهم الكامل. ولا بأس من توضيح ما يستعصى على الطلبة من مسائل جانبية حول مواضيع الدرس مع العناية في مناقشتهم فيما سبق أن حفظوه وفهموه رغبة في التأكد من منفعة الجميع. وأن يكون حريصا على متابعة أحوال الطلبة وسلوكهم الخلقي فينصح من ينحرف عن الطريق المستقيم باللين أولا ثم الشدة إذا استفحل الأمر. وأن يعامل الطلبة معاملة واحدة دون تفرقة بغض النظر عن مستوياتهم الاجتماعية المختلفة فيسهل عليه بعد ذلك توحيد قلوبهم وجمع شملهم. وأن يلتزم في علاقته المباشرة بهم التواضع باذلا النصيحة الصادقة والتوجيه المخلص(٢٢٤).

من المؤكد أن هذا البحث الواضح للمدرس أو العالم على توطيد علاقته بطلابه عن طريق كسب ثقتهم وصداقتهم يهدف إلى الوعي بين الطلبة حيث تتوفر لهم في مجالس العلم الفرص المتكافئة في المعاملة الحسنة، والإفادة الشاملة، وتحصيل العلم النافع. كما تهدف هذه النصوص إلى تشجيع الطلبة على طلب العلم بمساعدة المعلم الذي يبذل لهم النصيحة والتوجيه الصادق.

وقد حرص أصحاب السلطة في العصر المملوكي على أن يتولى العلماء والقضاة المناصب الإدارية المهمة مثل «نظر بيت المال». (٢٢٥) ولعل سبب هذا الحرص هو أن هذه الوظيفة تتطلب أن يكون صاحبها واعيا وأمينا في نفس الوقت كي يقوم بعمله على أحسن وجه.

وقد كان العلماء في العصر المملوكي يمثلون نخبة رجال الإدارة والقائمين على الشئون الدينية والاجتماعية. (٢٢٦) وكان يقع على عاتقهم مهمة إدارة المؤسسات النظامية، والنهوض بالواجبات الروحانية. (٢٢٧)

والفرصة كانت متاحة لمن يرغب من أفراد الطبقة العاملة في الانخراط في حقل التعليم لنيل نصيب كاف يؤهلهم لتأدية وظيفة التدريس. وتشير كتب السير والتراجم إلى وجود عدد كبير من البنائين والحجارين والنجارين والنحاسين وصانعي الصابون والصيادلة استطاعوا الارتقاء بأنفسهم إلى مصاف العلماء. (٢٢٨)

وقد أظهر هؤلاء العلماء كفاءة واضحة في الشئون القضائية والإدارية والقانونية والتعليمية، وكذلك في المجالات المالية والتجارية والديوانية (٢٢٩). كما كان لهم تأثير كبير على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية رغم اختلاف طبقاتهم(٢٣٠).

وقد اختلفت معطياتهم حسب كفاءاتهم الفكرية والمهنية كمدرسين أو إداريين أو قضاة بحيث كانت خدماتهم تتناسب مع أدوارهم في دعم مصالح المجتمع (٢٣١) لهذه الأسباب مجتمعة كان دورهم في المجتمع متميزا (٢٣٢).

وعلى الرغم من تميزهم الفكري إلا أن علماء العصر المملوكي لم يعيشوا ضمن طبقة منفصلة أو منعزلة، بل مثلوا كيانا متماسكا ينتمي أفراده إلى مختلف الطبقات الاجتماعية الموجودة ولذا كان تأثيرهم على تماسك واستقرار المجتمع واضحا(٢٣٣).

وقد كانت كفاءاتهم العلمية والفكرية والتعليمية سبباً رئيسياً في تميزهم الواضح في ذلك المجتمع الذي كان يحمل لهم الاحترام والتبجيل(٢٣٤). وقد احتاج السلاطين المماليك لدعم العلماء

في سبيل تحقيق هدفين: السلامة الاجتماعية والسيطرة الإدارية[٢٣٥]. ولذا تبين معظم فترات الحكم المملوكي هذه العلاقة الوطيدة بين الأوليجاركية المملوكية وطبقة العلماء،[٢٣٦]. ومن جانب آخر كان العلماء يمثلون صوت المجتمع المصري الذي ينقل طلباته واحتياجاته إلى الإيوان السلطاني، ولذا كان للعلماء دور كبير في عملية التوازن بين جشع المماليك سلاطين وأمراء ومعاناة الشعب المصري.

وقد شهد العصر المملوكي في بعض الأحيان نوعا من «الرقابة الشعبية» ـ إذا جاز التعبير ـ نحو القائمين على التعليم والمناصب العلمية فيذكر المقريزي أنه في يوم الأربعاء الثلاثين من رجب سنة ٧٤٢هـ / ١٥ كانون الثاني ـ يناير سنة ١٣٤٢م «خرج الحصنى بواب المدرسة الصالحية تجاه باب المارستان وقت الصبح، بأعلام خليفية ومصحف على رأسه، وهو ينادي بصوت عال: «يامسلمين قاض يفعل كذا بنساء المسلمين من غير كناية، ويأكل الحشيش، هذا لا يحل» فاجتمع الناس عليه، ومضى بهم إلى بيت قاضي القضاة حسام الدين الغوري الحنفي بالمدرسة الصالحية وكسروا بابه، ودخلوا عليه، ففر منهم حسام الدين إلى السطح وهم في أثره، وقد نهبوا جميع ماعنده حتى خشب الرفوف حتى وجدوه، فضربوه ونتفوا لحيته، وهو يعدو إلى أن خرج من البيت.

واستجار حسام الدين بقاضي القضاة موفق الدين الحنبلي فأجاره وأدخله داره، وأقام الحنابلة على بابه لمنع العامة منه وقد اقتحموا بابه، فقال لهم قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي «معكم مرسوم بنهبي؟ قالوا «لا! ولكن سلمنا الغوري»، فقال لهم: «هذا غريم السلطان قد صار عندي، وأنتم قد أخذتم ماله، ومازال بهم حتى انفضوا عنه»[٢٣٧].

وقد حدث الشيء ذاته كذلك عندما استقر علاء الدين مغلطاي في تدريس الحديث بالمدرسة الظاهرية، فاستنكر الناس ذلك الأمر، بل وسخروا من تولى مغلطاي درس الحديث[٢٣٨]. ولعل السبب يعود إلى أن معرفته بالحديث «خبرة متوسطة»[٢٣٩]، بل إن أهل الحديث كانوا لا يقبلون روايته بأنه كان مجازاً فيه[٢٤٠].

وهكذا تعرض بعض القضاة والمدرسين في أثناء هذه الفترة للمهانة على يد العامة والأوباش، وكأنه لم يعد لهذه المناصب تلك الهيبة المعنوية الكبيرة التي كانت تهيء له دائما عناصر الاحترام والتبجيل والتقدير من مختلف الطوائف والطبقات الاجتماعية وخاصة عندما يكون هؤلاء القضاة والمدرسون دون المستوى المطلوب علماً ومعرفة وخبرة.

بالإضافة إلى ذلك كان العامة يجاهرون باستيائهم تجاه أي موقف يجدونه غير لائق من مرافق الدولة التعليمية والتوجيهية، من ذلك على سبيل المثال ما حدث في ذي القعدة سنة ٧٧٨هـ / آذار ـ مارس ١٣٧٧م، خلع على جمال الدين محمود القيصري العجمي[٢٤١] خطيب مدرسة ألجاي، واستقر في حسبة القاهرة، عوضا عن شمس الدين محمد الدميري[٢٤٢] فسخر العامة منه واستهزأوا به، لعهدهم به أمس ـ وهو من فقراء العجم ـ يجلس تجاه باب المارستان بالقاهرة، ويبيع التمر، فلم يجد له بيتا ينزل فيه، حتى نزل في بيت تاج الدين أحمد بن علي بن الطريف، إلى أن وجد داراً سكنها»[٢٤٣].

وتشير مصادر التاريخ المملوكي أنه كان يحدث أحيانا وصول بعض الجهلاء إلى مناصب

إدارية مهمة في المراكز التعليمية، مما يعيق تحقيق المنافع الاجتماعية المرجوة من هذه المصادر الخيرية، بل عدم القدرة على استثمار ريع مصادر الوقف لهذا المركز الحيوي ضمن وسائل مدروسة ومخطط لها، من ذلك مثلا أن ابن الأطروش تولى نظر المارستان المنصوري على الرغم من جهله بالكتابة والحساب مع أن شروط الواقف أن يكون الناظر «عارفاً بالحساب وأمور الكتابة»[٢٤٤] مما أدى إلى ضياع ريع المارستان ومعاناة المرضى من الإهمال والفقر والتقشف، الأمر الذي استلزم عزلة خاصة بعد اعترافه بجهله، وعدم درايته بالحساب، وعجزه عن مباشرة أوقاف المارستان.

وأحيانا كان جشع كبار الإداريين ورغبتهم في إرضاء الرغبات السلطانية سبباً في التطاول على حرمة المؤسسات التعليمية الموقوفة ففي ربيع الأول سنة ٧٤٩هـ / حزيران ـ يونية سنة ١٣٤٨م، بدأ جمع الأموال لعمل جسر[٢٤٥] بين الجيزة والمقياس[٢٤٦] فطلب «مباشرو أوقاف الشافعي وأوقاف المدارس الصالحية والظاهرية والمارستان وسائر الأوقاف وألزموا بمال»[٢٤٧].

**الطلبة**

جرى العرف التنظيمي لعملية التعليم في المدارس في مصر المملوكية على تحديد عدد الطلبة لكل مدرس بحيث يكون مسئولا عن تدريسهم وتأهيلهم فذكر المقريزي «عند كل مدرس عدة من الطلبة»[٢٤٨].

أما المدرسة الصالحية فقد كان فيها «مدرسون أربعة عند كل مدرس معيدان وعدة طلبة[٢٤٩]. وكذا الوضع في المدرسة الناصرية بالقرافة[٢٥٠] ويختلف الحال مع المدرسة المجدية الخليلية فقد كان فيها مدرس شافعي ومعيدان وعشرون طالبا[٢٥١].

وكذا الوضع مع القبة المنصورية التي كانت جزءا من المارستان المنصوري حيث كان بها «مدرس ومعيدان وثلاثون طالبا»[٢٥٢].

كذلك أورد ابن جماعة في كتابه «تذكرة السامع والمتكلم» الصفات التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم حيث ينبغي أن يكون نقي السريرة، خالص الإيمان، طيب الأخلاق، ملتزماً بتعاليم الدين الإسلامي فيكون في طلبه للعلم استكمالاً لدينه. وان يلزم شيخه الذي يتلقى العلم على يديه، ويعمل وفق نصائحه ومشورته، ويخلص دائما على رضاه، وأن يكون حريصا على تقديره وتبجيله واحترامه بما يتناسب مع مكانته كشيخ علم قدير. وأن يتذكر دائما فضل معلمه عليه فيراعى أن يحفظ كل ما له من حقوق. وأن يغفر لشيخه ما قد يأتيه من هفوات أو عيوب رغبة في استمرار الود بينهما والعلاقة الطيبة. وأن يشكر للشيخ معاملته له سواء كان ثناء على عمل أو توبيخاً على نقيصة اقترفها بل يكون ممتنا لما يحصل منه. وألا يدخل على شيخه إلا بإذن، وألا يبدأ الحديث، وينصت لكلامه بهدوء ووعي. وأن يكون في جلوسه مع شيخه متواضعا متأدباً ساكناً لا يشغله عن الدرس شيء وألا يرادد شيخه فيما يرويه من روايات وأحاديث بحيث إذا أراد الاستفسار أجل ذلك إلى نهاية الدرس دون مقاطعة في منتصف الحديث.

واذا أعاد شيخه شيئا سبق ذكره، أو شرح جزءا كان يعرفه، أو ذكر حديثا يحفظه فيجب ألا يقاطعه بأنه ملم بهذا أو ذاك، بل يسمع فربما جاء الشيخ علاوة على ذلك بشيء جديد في الشرح أو

التفسير. وإذا استفسر أحد الطلبة من الشيخ حول موضوع ما وكان يعرف الجواب فينبغي ألا يسابق شيخه على الإجابة بل لا يتدخل إطلاقا إلا إذا بادره الشيخ بالسؤال(٢٥٣). ولا ريب أن هذه النصائح تهدف إلى المحافظة على مكانة العلماء في مجالس العلم بين طلابهم حيث تحث الطلاب على احترام المدرس بدون حدود، وتقدير منزلته العلمية. كما توضح النموذج المثالي من الأخلاق العالية والصفات المثالية التي يجب أن يتحلى بها الطالب سواء في علاقته بأستاذه أو بمسلكه أثناء الدرس انطلاقا من جوهر الرابطة العلمية بين الأستاذ والطالب وهي التربية الإسلامية الصالحة لطلاب العلم في هذا العصر.

كذلك اشتمل نظام الصرف في المدرسة على قسم مرتبات الطلبة التي كانت تصرف لهم شهريا كمورد رزق ثابت فنجد أحيانا ينص على قدر المرتب الذي يتقاضاه الطلبة، وفي أحيان أخرى يترك للناظر حسب وصية الواقف حرية تقدير قيمة ما يتقاضاه الطلبة من مرتبات بحيث يتناسب مع ريع الوقف من ذلك مثلاً في المدرسة السيوفية يذكر المقريزي : «وباقي الوقف يصرفه على ما يراه لطلبة الحنفية المقررين عنده» (٢٥٤) حيث كان الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجبتي ناظرا على وقف المدرسة السيوفية إلى جانب قيامه بالتدريس فيها بناء على تفويض الواقف وهو صلاح الدين الأيوبي. وهذا يدل على أن قيمة ما يتقاضاه الطلبة من منح ومرتبات يرجع إلى مسئولية الناظر على وقف المدرسة تبعا للشروط التي وضعها الواقف في حجة الوقف الخاصة بالمدرسة.

وقد كان يصرف لكل طالب في المدرسة الصرغتمشية في كل شهر خمسة وخمسون درهما نقرة، وزيت طيب رطلان ونصف، وصابون رطلان، علاوة على رطلان سكر في شهر رمضان(٢٥٥). وكذلك ثلاثة دراهم نقرة في موسم البطيخ والعنب في كل سنة (٢٥٦).

واهتم بعض الواقفين على تفرقة المواد العينية على الطلبة أسوة بغيرهم من القائمين على الوظائف المختلفة في المدرسة ففي المدرسة الناصرية كان يفرق «على الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكر في كل شهر لكل أحد منهم نصيب، ويفرق عليهم لحوم الأضاحي في كل سنة»(٢٥٧)!

وكذلك الحال في المدرسة الحجازية فقد كان يصرف «لأرباب الوظائف المعاليم السنية، وكان يفرق فيهم كل سنة أيام عيد الفطر الكعك والخشكنانك، وفي عيد الأضحى اللحم، وفي شهر رمضان يطبخ لهم الطعام» (٢٥٨). إلى جانب المرتب الشهري إلا أن تلك العادة انقطعت بعد حين واقتصر الوضع على صرف المرتبات الشهرية(٢٥٩).

أما مدرسة الأمير جمال الدين الأستادار (٢٦٠) فقد «قرر عند كل من المدرسين الستة طائفة من الطلبة، وأجرى لكل واحد ثلاثة أرطال من الخبز في كل يوم وثلاثين درهما فلوسا في كل شهر(٢٦١).

كانت قيمة المكافأة الشهرية التي توزع على الطلبة شهرياً أو فصليا سببا في إقبال الطلبة على مذهب دون آخر فيذكر المقريزي أنه «في سنة سبع وستين وسبعمائة حدد الأمير يلبغا العمري الخاصكي درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر

أربعين درهما، وإردب قمح فانتقل جماعة من الشافعية إلى مذهب الحنفية» (٢٦٢).

أما السلطان حسام الدين لاجين «فلم يحدد معلوما معينا وإنما كان يصرف مبلغا لطلبة كل درس، ويقوم المدرس بصرفها بينهم على حسب درجة الطالب عنده بحيث يكون ذلك دافعا للطلبة على الاجتهاد والمواظبة وحسن سلوكهم أثناء الدرس» (٢٦٣).

وكانت الأزمات الاقتصادية سببا في بعض الأحيان في معاناة الطلبة بحيث يضطرون في سبيل الحصول على الطعام بالتفريط بما تحتويه المدرسة التي يقطنونها من أدوات ففي المدرسة الفاضلية «لما وقع الغلاء بمصر في سنة أربع وتسعين وستمائة والسلطان يومئذ الملك العادل كتبغا المنصوري مسهم الضرر فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب (٢٦٤).

ويذكر المقريزي أنه كان «بهذه المدرسة حملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم يقال إنها كانت مائة ألف مجلد وذهبت كلها» (٢٦٥).

وكانت رفاهية بعض المدارس سببا في تنافس الطلبة للالتحاق بها والاستقرار في مساكنها من ذلك مثلا المدرسة البهائية التي «كانت من أجل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها ويتشاجرون في سكنى بيوتها حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الإثنان من طلبة العلم والثلاثة»(٢٦٦).

أما المدرسة الظاهرية فقد كان «للناس في سكناها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسا يرتفعون فيه إلى الحكام» (٢٦٧).

**الإجازات العملية**

يأتي على رأسها إجازة الإفتاء حيث تؤهل صاحبها في أن يفتي ويدرس بعد حصوله على هذه الإجازة التي كانت غالبا ما تكتب على ورق شامي بقلم الرقاع، ويجيزها أحد كبار العلماء لمن يؤهل لها من تلاميذه بعد ملازمة دراسية طويلة. وتتم كتاباتها والتصديق عليها بحضور قاضي القضاة(٢٦٨) وبعد حصول طالب العلم على إجازة الإفتاء هذه يحق له الاطلاع على ماشاء من الكتب في المذهب الذي اجتهد في دراسته (الشافعي مثلا) لكي يقوم بالفتوى بين الناس بأمانة وصدق لهدف تحقيق العدالة الاجتماعية(٢٦٩).

أما إجازة التدريس فيجب على طالب العلم المجاز للتدريس أن يكون مخلصا وأهلا لما حصل عليه من ألقاب تقديرية مع حصوله على هذه الإجازة عندما يتم دراسة عدد من الكتب المقررة على يد أحد شيوخ العلم(٢٧٠). ومن مجموعات الكتب على سبيل المثال مجموعة الكتب الستة وهي «البخاري» و «مسلم» و «أبو داود» و «الترمذي» و «النسائي» و «ابن ماجة». بالإضافة إلى «مسند أحمد» و «مسند الشافعي»(٢٧١).

ويبدو في غالب الأحيان أن طالب العلم يحصل بعد مرحلة دراسية طويلة على إجازة واحدة للإفتاء والتدريس معا فيقوم في حياته العلمية بعد الحصول على الإجازة بالتدريس في إحدى المدارس إلى جانب خدمة الناس بالفتوى(٢٧٢).

أما إجازة عرض الكتب فيحصل عليها الدارس حيث يتم حفظ عدد من الكتب في الفقه أو النحو أو الشريعة فيعرض ما استوعب بين يدي أحد كبار مشايخ العلم حيث يتم امتحانه فيما حفظ بحيث يشمل الإمتحان الحفظ والمناقشة والبلاغة في الرواية يحصل بعدها طالب العلم على إجازة عرض الكتب(٢٧٣).

كذلك وجد ما يسمى «بإجازة المرويات على الاستدعاءات» وهي خاصة بالفقه حيث يحصلها طالب العلم من الشيخ الذي تتلمذ على يده وأخذ العلم منه على مر السنين فيكون له بذلك حق في تقديم دروس الفقه استنادا على ما تلقاه من معلمه(٢٧٤).

**مكاتب السبيل**

درجت العادة عند أصحاب المدارس المملوكية على تأسيس مكتب سبيل لتعليم أيتام المسلمين يلحق بالمدرسة، ويكون متخصصا لتدريس هؤلاء الأيتام الذين لا أولياء لهم فيوفر لهم العلم والقوت والكسوة. ولعل السبب في إلحاقه بالمدرسة هو الرغبة في استمرار بقائه فلو أنشيء مستقلا لربما اندثر، في حين ان وجوده بجانب المدرسة ييسر له الإشراف والعناية، سواء في توفير المدرس المناسب، أو الصرف المنتظم، أو الترميمات العمرانية المستمرة.

وقد أنشئت مكاتب سبيل عديدة خلال الفترة المملوكية نتيجة نشاط الحركة التعليمية من ذلك مثلا مكتب السبيل الذي كان بجانب المدرسة المزوبية(٢٧٥). وكذلك تأسست مكاتب سبيل أخرى عند مدرسة المحلي(٢٧٦) والمدرسة القراسنقرية(٢٧٧)، والمدرسة البوبكرية(٢٧٨)، والمدرسة السابقية(٢٧٩)، ومدرسة الأمير جمال الدين الأستادار(٢٨٠). كذلك احتوى عدد كبير من الجوامع على مكاتب سبيل لتدريس أيتام المسلمين مثل الجامع الحاكم(٢٨١)، وجامع آق سنقر(٢٨٢)، وجامع السلطان حسن(٢٨٣). وكان ينص في وثيقة الوقف حرفيا على وظيفة مكتب السبيل ووسائل الصرف عليه ضمانا لحسن سير العمل وديمومة العطاء ففي المدرسة الظاهرية كان تأسيس مكتب السبيل بجانبها «لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى. وأجرى لهم الجرايات والكسوة(٢٨٤).

وكان يطلق على المدرس الذي يقوم بتعليم الأيتام في مكتب **السبيل** «مؤدب الأطفال»(٢٨٥) مما يدل على أن هذه الشخصية كانت مكلفة بتربية هؤلاء الأطفال وتوجيههم إلى جانب تدريسهم(٢٨٦). وقد حددت بعض وثائق الوقف قدر المعلوم النقدي أو العيني الذي يأخذه اليتيم من مكتب السبيل فقد كان في المدرسة الحجازية مكتب «للسبيل فيه عدة من أيتام المسلمين، ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم، ويجرى عليهم في كل يوم لكل منهم من الخبز النقي خمسة أرغفة ومبلغ من الفلوس، ويقام لكل منهم بكسوتي الشتاء والصيف»(٢٨٧).

أما في مكتب **السبيل** الملحق بمدرسة الأمير قراقجا الحسنى فقد رتب عشرة أيتام في الحضور يوميا إلى المكتب للدراسة. ويُصرف لكل منهم ستون درهما شهريا ويشرف على تربيتهم وتدريسهم «مؤدب» يتقاضى مائتي درهم شهريا. ويشتمل برنامج الدراسة على تعلم القرآن الكريم وكتابة الخط العربي الواضح بشكل منتظم يوميا منذ الصباح الباكر وحتى آذان العصر. ويلتزم ناظر الوقف بصرف كسوتي الصيف والشتاء لهؤلاء الأطفال الأيتام(٢٨٨).

وتشير وثيقة وقف المدرسة الصرغتمشية إلى وجود مكتب سبيل في المدرسة حيث يرتب الناظر فيه «الأيتام الفقراء الذين لم يبلغوا الحلم أربعين نفسا، ويرتب لهم مؤدبا من أهل الخير والصلاح على أن المؤدب المذكور يجلس هو والأيتام المذكورون فيه بالمكان الذي هو بدهليز المدرسة المذكورة.. في كل يوم خلا الثلاثاء والجمعة وأيام البطالة»(٢٨٩).

ويظهر أن الأطفال كانوا يصرفون من المكاتب عند بلوغهم الحلم، ويأتي غيرهم للاستفادة في نفس المكان، إلا إذا أظهر أحدهم نبوغا وميلا للدرس فإنه يسمح له بالمداومة على الحضور إلى المدرسة والاشتغال بالعلم(٢٩٠).

جرت العادة في المدارس المملوكية على بناء مكتب الأيتام فوق السبيل، ولكن الوضع اختلف في المدرسة الصرغتمشية حيث بنى مكتب السبيل في الدهليز بعيدا عن الإيوانات الأربعة(٢٩١).

وكان مرتب المؤدب في كل شهر أربعين درهما نقرة، ومن الخبز الطيب أربعة أرطال يوميا. ويصرف لكل واحد من الأطفال الأيتام يوميا رطلان خبزا وسدس درهم نقرة، إلى جانب كسوتي الشتاء والصيف(٢٩٢). اما مساعد المؤدب «العريف» فقد كان يصرف له شهريا خمسة عشر درهما. وفي كل يوم رطلان خبزا(٢٩٣) ويصرف للجميع المؤدب والأيتام والعريف مبلغ خمسة وسبعون درهما في منتصف شهر شعبان ومثلها في أول رجب كل عام لشراء حلوى(٢٩٤). أما في عيد الفطر فيشتري بمبلغ مائتي درهم كعكا وتمرا وبندقا وخشكنانا تفرق على الأيتام والمؤدب والعريف. وفي عيد الأضحى يصرف مبلغ مائة وخمسون درهما ثمن أضحية توزع بين الأيتام ومؤدبهم والعريف(٢٩٥).

ويتعلم هؤلاء الأيتام في مكتب السبيل قراءة القرآن الكريم والحساب والكتابة(٢٩٦) ويوفر من ريع الأوقاف ما يلزمهم من أقلام وحبر وألواح ودوى وحصر يجلسون عليها(٢٩٧).

كانت مكاتب السبيل في المدارس المملوكية تفرش عادة بالحصر، ويجلس عليه الأطفال حول مؤدبهم، كما كانت توجد في حوائط بعض الكتب دواليب توضع فيها المصاحف والأقلام والألواح(٢٩٨).

وتشترط بعض الوثائق أن يكون المؤدب مراعيا لميول وحاجات الأطفال المعنوية والمادية، فلا يقسو عليهم، ولا يكثر من الدرس، ولا يعاملهم بشدة وقسوة لأجل ترغيبهم في القراءة والعلم(٢٩٩).

### خزائن الكتب

واحتوت كثير من الجوامع المملوكية على خزانة كتب جليلة تضم نفائس الكتب في مختلف العلوم الدينية والشرعية واللغوية مثل جامع الخطيري ببولاق(٣٠٠)، وجامع السلطان حسن(٣٠١)، والجامع المؤيدي(٣٠٢).

وقد زخرت خزانة الكتب في المدرسة الصرغتمشية بكثير من الكتب القيمة «في الفقه الحنفي وعلم الحديث وغير ذلك من العلوم الشرعية واللغوية، فقد كان كتاب التكملة والذيل والصلة

لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية من الكتب التي حوتها خزانة المدرسة الصرغتمشية»[٣٠٣].

أما عملية حفظ الكتب الموجودة في خزانة الكتب فكان يقوم بها موظف «خازن الكتب» كما هو موضح في كتاب وقف المدرسة الصرغتمشية حيث تكون مهمته المحافظة على الكتب المدرجة في خزانة المدرسة وكذلك المصاحف الشريفة[٣٠٤]، ويذكر السبكي أنه كان واجبا على «خازن الكتب» الاحتفاظ بها وترميم شعثها، وحيكها عند احتياجها للحيك، والضنة بها على من ليس من أهلها. وبذلها للمحتاج إليها، وأن يقدم في العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء. وكثيرا ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته»[٣٠٥]. ويصرف له مقابل ذلك خمسون درهما نقرة في كل شهر[٣٠٦] وإذا لاحظ ناظر الوقف تقصيرا من خازن الكتب في أداء عمله، أو تبين له عدم أمانته عمل على استبداله بغيره[٣٠٧]. وهذا يوضح أنه وجد في المدارس المملوكية من كان يتلاعب بما بين يديه من كتب سواء ببيعها رغبة في ثمنها، أو إهمالها عرضة للغبار وعدم التنظيم.

وقد كان خضر بن شوماف الزين الخاصكي الملكي الظاهري[٣٠٨] خازنا للكتب بالمكتبة الصرغتمشية. وكان يتصف بالكياسة والفضيلة وحسن العشرة والحرص على ما بين يديه من كتب في مكتبة المدرسة بحيث إنه كان يتألم الألم الشديد إذا فقد أحد مجلدات الكتب المحفوظة فيها[٣٠٩].

**التنظيم والخدمة**

يرتب في المدرسة المملوكية عادةمزملاتي مهمته توفير الماء من السبيل الموجود في المدرسة يوميا، نهارا أيام الفطر وليلاً في رمضان ويشترط من المزملاتي أن يكون خيرا متدينا يتمتع بصحة جيدة[٣١٠].

وقد أوكلت عملية الإشراف التنظيمي الداخلي في المدرسة الصرغتمشية على سبيل المثال إلى خادمين يقع على عاتقهما مهمة تفقد أرجاء المدرسة والسكن الملحق بها وكذلك القبة حيث يكون من واجبهم فيها حث قراء المصحف الشريف على الحضور بانتظام للمشاركة في القراءة. وكان يصرف لكل واحد منهما سبعون درهما نقرة[٣١١].

كما كان من مهمات ناظر الوقف ترتيب شخصين للقيام بوظيفة بوابين للمدرسة يلازمان أبوابها ويمنعان أصحاب السوء من دخولها، ويصُرف لكل منهما في كل شهر ثلاثون درهما نقرة[٣١٢].

وكان من حق البواب أن يبيت قرب الباب بحيث يسمع من يطرقه عليه. والفتح لساكن في المكان أو قاصد لواجب ديني من صلاة أو اشتغال في أي وقت من الليل إلا إذا اشترط الواقف ألا يفتح باب مدرسته إلا في وقت محدد. ويبدو واضحا أنه لا يمكن أن يشترط الواقف ذلك إذا كان كتاب الوقف خاص بمسجد أو جامع[٣١٣].

وقد توفر في المدرسة الصرغتمشية تنفيذا لكتاب الوقف أربعة فراشين لأعمال النظافة وترتيب المكان بحيث يصرف لكل نفر منهم ثلاثون درهما نقرة في كل شهر. وتضاف إلى ذلك عشرة دراهم نقرة لواحد منهم يقوم بملىء المزملة بالماء[٣١٤].

الخاتمة

كانت الجوامع والمساجد مراكز رفيعة المستوى للقراءة والدرس تحت إشراف أصحابها من السلاطين والأمراء المماليك وأغنياء المجتمع. كذلك بذلت عناية واضحة في سبيل إنشاء العديد من مكاتب «إقراء أيتام المسلمين القرآن» تحت إشراف كبار الفقهاء «مكاتب السبيل» من أجل تربية أيتام المسلمين كسبا للأجر والثواب.

وقد ظهر واضحا اتجاه التخصص في التعليم حيث عنيت بعض المساجد بتدريس مذهب دون غيره، فكان هناك اهتمام بالمذهب الشافعي في مسجد، وعناية بالمذهب الحنفي في آخر حيث يجتمع فقهاء المذهب للتباحث في ما يتعلق به من تفسيرات ودقائق. كما اشتملت بعض الجوامع والمساجد المملوكية على قاعات بنيت بشكل خاص لتكون مقرا للدرس والقراءة حيث كانت تبنى بحيث تخدم هذا الهدف ثم تؤثث لتكون مركزا مريحا لمريديها من الفقهاء وطلابهم. كذلك ظهرت العناية الفائقة في اختيار من يقوم بالتدريس في الجوامع حيث اشترط أن يتصف بصفات نبيلة ومنزلة رفيعة بين العلماء لكي يحقق هدف إفادة الطلبة وتعليمهم.

وقد ضمت بعض الجوامع خزانة كتب جليلة تيسر لطلبة العلم فرصة الإطلاع على أمهات الكتب في الفقه والحديث والتفسير. ومما لاشك فيه أن الأوقاف كانت هي المحرك الرئيسي لعجلة العلم والتعليم في الجوامع والمساجد والمدارس لسد حاجة كافة المصروفات الآتية والحولية، كما كانت مصدر الرزق الوحيد للفقهاء المقيمين في هذه المراكز التعليمية، ولصرف مرتبات الطلبة. بالإضافة إلى ذلك وفرت بعض مدارس العصر المملوكي مساكن للطلبة والمدرسين ليعيشوا فيها طيلة فترة دراستهم لكي يتمكنوا من مواصلة دراستهم براحة نفسية دون أن تشغلهم مشكلة السكن المريح المناسب.

كذلك تجدر الإشارة إلى انتشار التعصب بين جماعات المذاهب الأربعة بشكل واضح في العصر المملوكي. ومن ثم انعكس ذلك على المؤسسات التعليمية حيث اشترط أن يكون أصحاب الخدمة في مؤسسة يعينها ممن يتبعون نفس المذهب الذي تتخصص به تلك المدرسة على الرغم من أنه لا دخل لهم إطلاقا في العملية التعليمية. ولا شك أن نصرة المذهب السني كانت وراء النشاط الكبير في بناء المؤسسات التعليمية منذ عهد صلاح الدين الأيوبي. كما اهتم السلاطين والأمراء المماليك بالعلوم الدينية في مختلف المؤسسات التعليمية من جوامع ومساجد ومدارس وخانقاوات وأربطة وزوايا وغير ذلك.

ظهر الاهتمام الواضح في العصر المملوكي بدراسة علم الطب خاصة في المارستان المنصوري الذي كان بمثابة كلية جامعية لتعلم الطب نظريا وتطبيقيا إلى جانب ما كان يؤديه المارستان من خدمات طبية واسعة. وقد قامت العلاقة بين الأستاذ والطالب على الاحترام الكبير حيث يُجلُّ الطلاب شيوخ العلم وعلمائه، بل امتدت «مكانة» العلماء أن أصبح لهم هيبة غير محدودة في المجالس السلطانية والأميرية.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر هنا أن الفضل يعود إلى العصر المملوكي في ظهور الموسوعات العلمية في مختلف العلوم والفنون من ذلك مثلا «نهاية الأرب في فنون الأدب» «صبح الأعشا في

صناعة الإنشا» «ولسان العرب»، «ومسالك الأبصار» علاوة على ذلك زخر العصر المملوكي بكثرة القيادات المتعلقة خاصة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، ولعل هذا يفسر جانبا من ظاهرة العدد الكبير من المؤسسات التعليمية والمراكز الدينية التي انتشرت في هذه الفترة الذهبية. كما يعود الفضل إلى العصر المملوكي في حفظ التراث العلمي الذي خلفته الدولة العباسية وكاد يقضي عليه الغزو المغولي كلية، فجاءت العناية المملوكية لحماية ذلك التراث الحضاري الضخم حتى يصل إلى أيادي الباحثين من علماء ومؤرخين وأدباء. وبالإضافة إلى ذلك انتشرت بين علماء هذه الحقبة عادة الجمع بين العلوم الشرعية والطبيعية فيكون العالم جامعا لعلوم الحديث والفقه إلى جانب الطب مثلا، وهذا الوضع يماثل إلى حد كبير ما كان عليه العلماء الأوروبيون في عصر النهضة. وبذل المقتدرون والمهتمون بالعلم والتعليم عناية كبيرة لفرق المتصوفة، فانتشرت مراكز التصوف التي جذبت أهل التصوف من مختلف البلاد حيث يجدون السكن المريح، والمرتب الكافي، والرعاية غير المحدودة إلى جانب المكان المخصص لدراسة التصوف وممارسة علومه بالنقاش والمناظرة على يد كبار شيوخ المتصوفة.

وقد حرص السلاطين المماليك على أن تكون علاقتهم بطبقة العلماء والشيوخ قوية ووثيقة فتعطيهم هذه الرابطة الحميمة دعما ماديا ومعنويا في حكم ذلك المجتمع الإسلامي حيث كان العلماء يمثلون القوة الروحانية في حين تمثلت في السلاطين المماليك والأمراء القوة العسكرية فكان التلاحم بينهما في سبيل خدمة المجتمع ضروريا وناجحا. ويعودُ الفضلُ لعلماء العصر وشيوخ الدين في الإصلاح الإداري وحماية الشعب من تعسف ضمان الضرائب ونظم الدواوين، ولذا حرص السلاطين المماليك على التقرب من العلماء المسلمين الذين كانوا يشكلون ثقلا كبيرا في المجتمع. وكان نجاحهم في كسب ثقة العلماء يعني دون شك تحول الشعب إلى جانبهم ضد أي قوة داخلية أو خارجية. علاوة على ذلك اهتم السلاطين والأمراء المماليك في اختيار كبار العلماء ومشاهير الفقهاء لتولي مهمات التدريس في المراكز الدينية والمؤسسات التعليمية حرصا على أن يظهر التعليم في تلك المنشآت في أحسن صورة. وكان المجال في حقل التعليم. ثم الحصول على الإجازة العلمية والتدريس، مفتوحاً أمام جميع الطبقات الإجتماعية لا فرق بين شخص وآخر سوى الكفاءة والاجتهاد.

## الهوامش والمراجع

(١) المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ - ١٤٤٢م) : **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**، جـ١، ٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة، جـ٣، ٤ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة : ١٩٣٩ - ١٩٧١م، جـ٢، ص١١٤ - ١١٥، قارن : ابن دقماق، ابراهيم بن محمد (ت٨٠٩هـ - ١٤٠٦م) : **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، القاهرة : ١٨٩٣م، ص٧٦ - ٧٧.

(٢) الدواداري، ابو بكر عبد الله بن ايبك (معاصر للناصر محمد بن قلاوون) : **كنزالدرر وجامع الغرر**، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هـ. ر. روبمر، جـ٩، القاهرة : ١٩٦٠م، ص٣٨٨ - ٣٩٠، زيتير شتين : **تاريخ سلاطين المماليك**، نشرة كارل ف. زيتيرشتين، ليدن : ١٩١٩م، ص٢٢٥ - ٢٢٦، السلوك، جـ٢، ص٥٤٤ - ٥٤٥، ابن تغري بردى، أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ - ١٤٧٠م) : **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٢ جزء، القاهرة : ١٩٢٩ - ١٩٥٦، جـ٩، ص١٩٨ - ٢١٠.

(٣) زيتير شيتين، ص٢٢٦، قارن : السلوك، جـ٢، ص٥٤٤، النجوم، جـ٩، ص١٩٨.

(٤) الظاهري ، خليل بن شاهين (ت٨٧٢هـ ـ ١٤٦٨م) : **زبدة كشف الممالك** ، تحقيق بول ريفز ، باريس : ١٨٩٤م ، ص٣١ .

(٥) المقريزي ، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ ـ ١٤٤٢م) : **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار «الخطط المقريزية»**، جزءان، القاهرة : ١٨٥٣م ، جـ٢ ، ص٢٤٥ .

(٦) القلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ ـ ١٤١٨): **صبح الأعشى في صناعة الانشا** ، ١٤ جزء ، القاهرة : ١٩١٣ ـ ١٩٢٢ ، جـ٣ ، ٣٦٥ .

(٧) «خوند» : لقب يفيد معنى الاحترام والتبجيل ، ويخاطب به الذكور والاناث على السواء . وكان هذا اللفظ يستعمل لقبا للملوك فقط ، أما الملكات والأميرات فكن يلقبن غالبا بلفظ خاتون ، على أن لفظ خوند أو خونده أيضا كان يطلق كذلك على الملكات والأميرات . انظر: السلوك : جـ٢ ، ص٢٣١ ، هامش ٨ .

(٨) النجوم ، جـ٩ ، ص٥٧ .

(٩) هو محمد بن محمد بن الحسن بن أحمد القسطلاني ، ولد سنة ٦٧٣هـ ، وسمع من ابن خطيب المزة وصحب المرجاني وحج معه ، وولى إمامة جامع مصر وخطابته مدة طويلة ، ثم ولى خطابة جامع القلعة ، ومات في شهر ربيع الآخر سنة ٧٢٥هـ . أنظر : ابن حجر ، أحمد علي (ت٨٥٢هـ ـ ١٤٤٩م) : الدرر **الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، ٥ أجزاء، القاهرة : ١٩٦٦، جـ٤، ص٢٩٠ .

(١٠) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٥ ، قارن : السلوك ، جـ٢ ، ص١٨٤ .

(١١) الخطط جـ٢ ، ص٢١٢ ، قارن : السلوك ، جـ٢ ، ص٣٨٠ .

(١٢) الأمير آق سنقر الناصري ، ولي أمير شكار في حياة أستاذه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وتنقل في الخدم ، وتزوج ابنته ثم ولى نيابة غزة بعد وفاة الناصر محمد . كان كريما شجاعا قوى النفس . وقد قتل سنة ٧٤٨هـ في سلطنة المظفر حاجي بعد ان صار أكبر الأمراء حينذاك . أنظر : الدرر ، جـ١ ، ص٤٢٢ .

(١٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٩ .

(١٤) أيدمر الخطيري ، صاحب جامع بولاق . كان معظما عند الناصر محمد بحيث لايتركه يبيت في داره ليلة واحدة ، وكان جوادا مهيبا محتشما . انظر : الدرر ، جـ١ ، ص٤٥٨ .

(١٥) درهم أو دراهم هي عبارة عن الفلوس المسكوكة من معدن في شكل مستدير . ومن الدراهم المعروفة في سلطنة المماليك الدراهم الناصرية والكاملية . أنظر : دوزي ، رينهارت : **تكملة المعاجم العربية** ، ترجمة محمد سليم النعيمي ، بغداد : ١٩٨١ ، جـ٤ ، ص٣٤٢ ـ ٣٤٣ . أما الدراهم النقرة فهي الدراهم الفضية وعيارها ثلثان من الفضة والثلث من النحاس الأحمر . وقد اعتمدت هذه النسبة في المعيار منذ أيام الظاهر بيبرس واستمرت حتى أيام ابن فضل الله العمري مؤلف مسالك الأبصار ـ الذي كان يتولى شئون ديوان الانشاء في عهد الناصر محمد بن قلاوون . ويذكر القلقشندي أن نسبة الفضة قلت بعد الثمانمائة الهجرية في هذه الدراهم . انظر : صبح ، جـ٣ ، ص٤٦٢ ـ ٤٦٣ .

(١٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٣١٢ .

(١٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٦، ٣٢٠ ، ٣٢٥ .

(١٨) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٤ ، ٣٠٩ .

(١٩) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٦ .

(٢٠) الخطط ، جـ٢ ، ص٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ .

(٢١) الخطط ، جـ٢ ، ص٢٩٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ .

(٢٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٦ .

(٢٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٢١٢ ، ٣٠٩ .

(٢٤) الخطط، جـ٢ ، ص٣١٦ .

(٢٥) عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة ، عز الدين قاضي المسلمين . درس وتمرن مع عدد من كبار العلماء والشيوخ في سلطنة المماليك . كان محبا للعلم وأهله ، شديد التصميم في الامور . وعندما تولى القضاء عمل على عزل كل نائب وصل الى منصبه بالمال . وولاه السلطان الناصر محمد قضاء الشام الى أن عزل نفسه سنة ٧٥٤هـ ، وتوفي سنة ٧٦٧هـ ، أنظر : الدرر ، جـ٢ ، ص٤٨٩ ـ ٤٩١ .

(٢٦) صبح ، جـ١١ ، ص٢٢٧ ـ ٢٢٩ ، ٢٢٩ ـ ٣٣١ .

(٢٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٩ ، ٣٢٥ .

(٢٨) محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة ، ولد بحماه سنة ٦٣٩هـ . درس الحديث والفقه ومهر في الفنون . ولى قضاء القدس سنة ٦٨٧هـ . ثم قضاء مصر سنة ٦٩٠هـ . ثم قضاء الشام سنة ٦٩٣هـ . واعيد لقضاء الديار المصرية . ودرس بالمدرسة الصالحيةوالناصرية وجامع ابن طولون والمدرسة الكاملية وزاوية الشافعي . وعزل عن القضاء الشافعية سنة ٧٢٧هـ بعد أن كف بصره . واستمر رغم ذلك يدرس في المدرسة الخشابية . كان فصيحا ذكيا . برع في كتابة الخطب في بلاغة واضحة ثم يلقيها في فصاحة محمودة . توفي سنة ٧٣٣هـ . أنظر : الدرر، جـ٣ ، ص٣٦٧ ـ ٣٦٩ .

(٢٩) أحمد بن ابراهيم بن عبد الغني الحنفي شمس الدين أبو العباس السروجي ولد سنة ٦٣٧هـ . أقبل على الاشتغال إلى أن مهر واشتهر صيته . درس بالمدرسة الصالحية والناصرية والسيوفية وغيرها . وولي القضاء بالقاهرة . كان نبيلا وقورا كثير المحاسن . ولم يعرف عنه قط أنه ارتشى أو قبل هدية أو راعى صاحب جاه أو سطوة ملك . وتوفى سنة ٧١٠هـ . أنظر : الدرر جـ١ ، ص٩٦ ـ ٩٧ .

(٣٠) علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري المالكي قاضي القضاة زين الدين ، ولد سنة ٦٣٤هـ . استقر في القضاء في أواخر سنة ٦٨٥هـ فباشره إلى أن مات كان حميد السيرة ، كثير الاحتمال والاحسان للطلبة . وتوفى سنة ٧١٨هـ . انظر : الدرر ، جـ٣ ، ص٢٠٢ .

(٣١) انظر ترجمته : الدرر ، جـ٥ ، ص١١٦ ـ ١١٧ .

(٣٢) انظر ترجمته : الدرر ، جـ٣ ، ص٩٣ ـ ٩٧ .

(٣٣) الخطط، جـ٢ ، ص٢٧٨ .

(٣٤) انظر ترجمته : السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ١٤٩٧م) : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ١٢ جزء، القاهرة ، ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥هـ ، ١٩٣٤ ـ ١٩٣٦م ، جـ٧ ، ص٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٣٥) انظر ترجمته ، الضوء، جـ٥ ، ص٧١ .

(٣٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٨ .

(٣٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٣١٢ .

(٣٨) الخطط ، جـ٢ ، ٣١٢ .

(٣٩) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٠ .

(٤٠) الخطط ، جـ٢ ، ص٢٩٨ .

(٤١) صبح ، جـ١١ ، ص٢٦٢ ، الخطط ، جـ٢ ، ص٢٩٨ .

(٤٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد القزويني الملقب بجلال الدين . ولد سنة ٦٦٦هـ . درس الفقه والحديث واشتغل في الفنون وأتقن الأصول واللغة العربية والمعاني والبيان . وكان ذكيا فصيحا . تولى القضاء في بعض بلاد الروم . التقى الناصر محمد سنة ٧٢٤هـ . حيث تولى الخطابة في الجامع الأموي بدمشق الى جانب قضاء الشام . ثم أصبح قاضي مصر سنة ٧٢٧هـ حيث تولى إلى جانب ذلك وظيفة النظر في الجامع الناصري بالقلعة . ويقال انه لم يوجد لأحد من القضاة منزلة عند سلطان تركي نظير منزلة جلال الدين . وكان يقدم القصص للسلطان في دار العدل فلا ترد له شفاعة . وحج مع السلطان الناصر محمد . ولم يزل على ذلك الى أن أعيد الى قضاء الشام نقلا من القاهرة بسبب سلوك أولاده . وأقام قليلا بالشام ثم مرض ومات سنة ٧٣٩هـ . أنظر : الدرر ، جـ٤ ، ص١٢٠ ـ ١٢٣ .

(٤٣) صبح ، جـ١١ ، ص٢٦٢ ـ ٢٦٤ .

(٤٤) صبح ، جـ١١ ، ص٢٦٤ .

(٤٥) السلوك ، جـ٢ ، ص١١٤ ـ ١١٥ ، أنظر أيضا : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٤ .

(٤٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠٩ .

(٤٧) الخطط ، جـ٢ ، ٤٠٩ ، ٤١١ .

(٤٨) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠٩ ، ٤١٢ .

(٤٩) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٤٧ .

(٥٠) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٤٨ .

(٥١) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٤٩ .

(٥٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٣ .

(٥٣) عن العلاقة بين سلطنة المماليك والسودان الغربي أنظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : **العصر المماليكي في مصر**

والشام ، القاهرة : الطبعة الاولى ، سنة ١٩٦٥م ، ص٢٤٢ ـ ٢٤٥ ، أما عن التجار الكارمية الذين تنتمي اليهم طائفة الكانم التكرورية هذه فيمكن القول بايجاز بأنها طائفة إسلامية احتكرت تجارة البحر الأحمر في العصور الوسطى وخاصة تجارة الكارم أو البهار . وقد جاء ذكرهم في كثير من المخطوطات المملوكية . أما عن الدراسات الحديثة حول هذا الموضوع فيمكن ان نذكر منها :

١ ـ نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٣م .

٢ ـ S.D.Goitein, «New Lights on the beginning of the Karimi merchants» Journal of the economic and social history of thee Orient, I,PP. 175- 184 (1958).

٣ ـ Welter J.Fichel «The Spice Trade in Mamluk Egypt» Op. Cit, I,PP. 157 - 174 (1958).

٤ ـ Eliyahu Ashtor, «The Karimi Merchant» Journal of the Royal Asiatic Society, London 1956 PP.45-56.

(٥٤) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٥ .

(٥٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٥ ، انتصار ، ص٩٦ .

(٥٦) السلوك ، جـ١ ، ص٩٥١ ـ ٩٥٢ .

(٥٧) صبح ، جـ٣ ، ص٣٦٤ .

(٥٨) صبح ، جـ٣ ، ص٣٦٤ .

(٥٩) صبح ، جـ٣ ، ص٣٦٢ ـ ٣٦٣ .

(٦٠) أبو الفدا ، اسماعيل بن على (ت٧٣٢هـ ـ ١٣٣١م) : **المختصر في اخبار البشر** ، ٤ أجزاء ، القاهرة : ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م ، حـ٤ ، ص١٣٣ ، الدرر ، جـ٤ ، ص٥٠ ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ . ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ابن تغري، بردي أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ ـ ١٤٧٠م) : **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** ، جـ١ ، القاهرة : ١٩٥٦ ، ص٣٩٢ ـ ٣٩٣ ، ابن العماد ، عبد الحي أحمد (ت١٠٨٩هـ ـ ١٦٧٩م) : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، ٨ أجزاء ، القاهرة: ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ م ، جـ٦ ، ص١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٦١) ابن اياس ، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ ـ ١٥٢٤م) : **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ، ٣ أجزاء القاهرة : ١٩٨٣ ـ ١٩٨٦م ، جـ٣ ، ص٤٢ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، انظر كذلك:

Dr. A.A. AL -Muhanna the Literary Conflict of the Fifteenth century and the Fole of AL-Sakhawi Faculty of Arts and Educational Bulletin, No.7- June 1975, Kuwait University P.7

حيث يشير الى أن «العلماء في مدارس القرن الخامس عشر كانوا يختارون بحرص ودقة ، ثم يتم تعيينهم من السلطان شخصيا حيث يتولى ديوان الانشاء تدبير الخطوات الادارية الضرورية» .

(٦٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٤ .

(٦٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٤ .

(٦٤) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٤ .

(٦٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٤ ، ٣٧٨ .

(٦٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٦ .

(٦٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٤ .

(٦٨) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٤ .

(٦٩) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٢ .

(٧٠) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ ـ ١٣٣٢م) : **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، مخطوط مصور ، دار الكتب المصرية ٥٤٩ معارف عامة ، الاجزاء ١٩ ـ ٣٠ ، جـ٣٠ ، انظر : السلوك ، جـ١ ، ص٩٥١ ـ ٩٥٢، النجوم ، جـ٨ ، ص٢٠٨ ـ ٢١١ .

(٧١) «القيسارية» وجمعها قياسر أو قيساريات وهي السوق المسقوفة ، وأطلقت أيضا على الخان أو الوكالة ، أي البناء الذي يحتوي على غرف ومخازن للتجار ، ويعلوه طباق للسكني بارتفاع دورين أوثلاثة . أنظر: العصر المماليكي في مصر والشام ، ص٤٤١ .

(٧٢) «خـان» مفرد خـانات وهي كلمـة فارسيـة الأصل معنـاها بيت . ومـع الوقت أصبحت تعني في العصر المملوكي فندق. انظر : تكملة المعاجم العربية ، جـ٤ ، ص٢٤٢ .
ويذكر سعيد عاشور في كتابه العصر المماليكي في مصر والشام ، أن الخان هـو الوكـالة أوالفنـدق المعد لاستقبـال التجـار وبضائعهم ودوابهم وغـيرهم من المسافـرين والحجاج . ويـوجد بـه اصـطبـل للدواب وفي أعـلاه طبـاق ومساكن النازلين به تطل على حـوش أو ساحـة تتوسط الخـان . كذلـك يوجـد بالخـان بئر مـاء وميضأة ومسجـد صغير، العصر المماليكي ، ص٤١١ .
(٧٣) نهاية ، جـ٣٠ ، ورقة ٣٤١ب .
(٧٤) نهاية ، جـ٣٠ ، ورقة ٣٤١أ .
(٧٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٢ ، أنظر ايضا : السلوك ، جـ١ ، ص٩٥١ ـ ٩٥٢ .
(٧٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٤ .
(٧٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٤ .
(٧٨) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٥ .
(٧٩) يذكر القلقشندي : «نقابة الجيوش . وهي موضوعـة لتحلية الجنـد في عرضهم ، ومعـه يمشي النقباء. واذا طلب السلطان أو النائب او الحاجب أميرا أوغيره . أحضره . وهو كأحد الحجاب الصغار . وله التـطلب بالحـراسة في الموكب والسفر». اذن كان النقيب يؤدي الخدمات الصغيرة للسلطان أو الأمير . أنظر : صبح ، جـ٤ ، ص٢١ ـ ٢٢ .
(٨٠) نهاية ، جـ٣٠ ، ورقة ٣٤٠ب .
(٨١) الخطط ، جـ٢ ، ص٢٦٩ .
( ٨٢ ) «خشكنانك» فارسية الأصل (خشك نانه) بمعنى بقسماط . وكلمة خشكنانكة هي واحـدة خشكنانـك وهي تعني بقصم أي نـوع من الكعـك المعمـول من البقسـماط فـاذن خشكنـانـك تعني بقصم . أنـظر : تكملة المعاجم العربية ، جـ٤ ، ص١٠٣ .
( ٨٣ ) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٢ .
( ٨٤ ) نهاية ، جـ٣٠، ورقة ٣٤١ب ـ ٣٤٢ أ .
( ٨٥ ) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧١ .
( ٨٦ ) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٩ .
( ٨٧ ) صبح ، جـ٣، ص٣٦٤ .
( ٨٨ ) الضوء ، جـ٣، ص١٢ .
( ٨٩ ) الخطط ، جـ٣، ص٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ .
( ٩٠ ) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٤ ، ٣٩٤ .
( ٩١ ) هو آقش الأشرفي جمال الدين البرناق المعروف بنائب الكرك . كان من مماليك المنصور قـلاوون ثم ولي عن الأشرف خليـل نيابـة الكرك نحـو العشرين سنة ، ثم ولي نيـابـة دمشق في سنـة ٧١١هـ . عمـر جـامعـا بالحسينية . وكان يجلس رأس الميمنة ويقوم له السلطان الناصر محمد . ثم ولاه الناصر محمد نظر المارستـان المنصوري فباشره بمهابة عظيمة وعمره . ومات بالاسكندرية سنة بضع وثلاثين وسبعمائة هجريـة . أنظر : الدرر ، جـ١ ، ص٤٢٣ ـ ٤٢٤ .
( ٩٢ ) الخطط ، جـ٣، ص٣٧٤ .
( ٩٣ ) نهاية ، جـ٣٠، ورقة ٣٤٠ أ .
( ٩٤ ) نهاية ، جـ٣٠، ورقة ٣٤٠أ .
( ٩٥ ) كانت هذه الدار أول بيت للحديث بالقاهـرة . وقد أنشئت بخط بـين القصرين من القاهـرة وتعرف بـدار الحديث الكاملية حيث أنشأها السلطان الكامل ناصر الدين بن العادل أبي بكر بن أيوب شـادي بن مروان سنـة ٦٢٢هـ . وهي ثاني دار عملت للحـديث فإن أول دار للحـديث بناهـا العادل نـور الدين محمـود بن زنكي بـدمشق . ثم بنى الكامـل هذه الـدار ووقفها عـلى المشتغلين بالحـديث النبوي ثم من بعـدهم عـلى الفقهاء الشافعية . ووقف عليها الربع الذي بجوارها . وأول من ولي تدريس الكاملية الحافظ أبو الخطاب

عمر بن الحسن بن علي بن دحية . ومابرحت بيد أعيان الفقهاء الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ٨٠٦هـ فتلاشت .

أنظر : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٥ ، السلوك ، جـ١ ، ص٢٥٨ .

( ٩٦ ) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ ـ ١٤٩٧م) : **ارشاد الغاوي بل اسعاد الطالب والراوي للاعلام بترجمة السخاوي** ، مخطوط ليدن 1106 ، ورقة ٣١٦أ ، **وجيز الكلام في الذليل على دول الاسلام** ، مخطوط برلين 6463 ورقة ١٥٣أ .

( ٩٧ ) وجيز ، ورقة ١٥٣أ .

( ٩٨ ) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠٠ .

( ٩٩ ) صبح ، جـ١١ ، ص٢٣١ ـ ٢٣٤ ـ قارن : ص٢٣٦ ـ ٢٣٩ ، ٢٣٩ ـ ٣٤١ .

(١٠٠) ابن تغري بردى ، أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ ـ ١٤٧٠م) : **حوادث الدهور في مدى الايام والشهور** ، خطوط برلين ، 9462 ، ورقة ١٢ أ ، السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ ـ ١٤٩٧م) : **التبر المسبوك في ذيل السلوك** ، القاهرة : ١٨٩٦م ، ص٢١٩ .

(١٠١) صبح ، جـ٥ ، ص٤٦٤ .

(١٠٢) صبح ، جـ١١ ، ص٢٤٧ .

(١٠٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ .

(١٠٤) الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٦٩ .

(١٠٥) نهاية ، جـ٣٠ ، ورقة ٣٤٠ب .

(١٠٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٤ .

(١٠٧) الأدفوي ، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت٧٤٨هـ ـ ١٣٤٧م) : **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد** ، تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة : ١٩٦٦ ، ص١٠٢ ، ١٠٣ .

(١٠٨) هو مجد الدين هبة الله بن علي بن السديد الأسنائي ، أخذ عن البهاء القفطي ، وبنى مدرسة بأسنا وقف عليها وقوفا ، وباشر تدريسها بنفسه ، وكان يعمل للطلبة الأطعمة ، وكان يرى أنه يكفي الطالب الغائب عن المدرسة عقابا مايخسره من حرمان عقله العلم والمعرفة التي كان سيستفيد منها في ذلك اليوم . انظر : الدرر ، جـ٥ ، ص١٧٦ .

(١٠٩) الطالع ، ٦٩٩ ـ ٧٠١ ، الدرر ، جـ٥ ، ص١٧٦ ، المنهل ، جـ١ ، ص٣٩٢ ـ ٣٩٣ .

(١١٠) الشذرات ، جـ٦ ، ص١٤٢ ـ ١٤٣ ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ .

(١١١) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٩٩ .

(١١٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٩٢ .

(١١٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧١ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ .

(١١٤) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٦ .

(١١٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٩ .

(١١٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٩٥ .

(١١٧) نهاية ، جـ٣٠ ، ورقة ٣٤١أ .

(١١٨) الطالع ، ص٢٩٧ .

(١١٩) الدرر ، جـ١ ، ص٣٩٩ ، جـ٤ ، ص٣٥٥ ، قارن : مختصر ، جـ٤ ، ص١٢٩ .

(١٢٠) الدرر ، جـ٢ ، ص١٥٥ ، جـ٥ ، ص٩٧ .

(١٢١) الدرر ، جـ٢ ، ص٣٦٤ .

(١٢٢) الدرر ، جـ٢ ، ص١١٨ ، ٢٩٣ .

(١٢٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٨٢ ، ٤٠١ .

(١٢٤) الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٨٢ .

(١٢٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٣ ، أنظر كذلك : انتصار ، ق١ ، ص٩٦ ـ ٩٨ .
(١٢٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ـ ٤٠٤ ، السلوك ، جـ١ ، ص٥٠٤ .
(١٢٧) الطالع ، ص٥٠٤ .
(١٢٨) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٥ .
(١٢٩) «الخانقاة» جمعها خوانق أو خانقاوات وهي كلمة فارسية ومعناها البيت حيث كانت مركزا ينقطع فيه الصوفية للعبادة والتصوف . وهي حديثة في الاسلام حيث ظهرت في حدود الأربعمائة الهجرية . وأول من أحدث الخوانق في مصر السلطان صلاح الدين الأيوبي . أنظر : السلوك ، جـ١ ، ص١٨٢ ، هامش ٤ .
(١٣٠) صبح ، جـ١١ ، ص٣٧٠ ـ ٣٧٢ . (نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ بالخانقاة المذكورة) .
(١٣١) الخطط ، جـ٢ ، ص٤١٦ .
(١٣٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٤١٧ .
(١٣٣) ابن كثير ، اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ ـ ١٣٧٣م) : **البداية والنهاية** ، ١٤ جزء ، ١٩٣٢م ، ص١١٨ ، العيني ، محمد بن أحمد (ت٨٥٥هـ ـ ١٤٥١م) : **تاريخ البدر في أوصاف اهل العصر** ، مخطوط المتحف البريطاني . **Add 22360** ، ورقة ١٦ب ، ابن حبيب ، الحسن بن عمر (ت٧٧٩هـ ـ ١٣٧٧م) : **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه** ، مخطوط المتحف البريطاني **Add Rich 7335** ، ورقة ٨٢ب ، ابن الوردي ، عمر بن المظفر ، (ت٧٤٩هـ ـ ١٣٤٨م) : **تتمة المختصر في أخبار البشر** ، جزءان ـ القاهرة : ١٨٦٨م ، ص٩٦ ، الدرر ، حـ٤ ، ص٢٦٤ ، السلوك ، جـ٢ ، ص٢٦١ ـ ٢٦٣ ، ٥٣٩ ، النجوم ، جـ٩ ، ص٧٩ ـ ٨٤ ، بدائع ، جـ١ ، ص١٦٣ ـ ١٧٥ .
(١٣٤) صبح ، جـ١١ ، ص٣٧٠ .
(١٣٥) صبح ، جـ١١ ، ص٣٧٢ ـ ٣٧٦ .
(١٣٦) لمزيد من التفاصيل عن وظيفة «شيخ الخانقاة» أنظر : السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب : **معيد النعم ومبيد النقم** ، بيروت : الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ ، ص١٢٤ .
(١٣٧) الخطط ، جـ٢ ، ص١٢٣ .
(١٣٨) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٢١ .
(١٣٩) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٢١ .
(١٤٠) الزوايا ومفردها زاوية وهي كلمة عربية تعني الركن من الدار أو المكان عامة . ثم اصبحت تطلق على المكان الذي ينشيء لايواء المنقطعين للعلم والزهاد والعباد وكان غرض منشئيها والمتصدقين عليها فعل الخير واكتساب الثواب . أنظر : السلوك ، جـ١ ، ص١٨٢ ، هامش ٤ .
(١٤١) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ .
(١٤٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٤ .
(١٤٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٥ .
(١٤٤) معيد، ص ١٢٦ .
(١٤٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٢ .
(١٤٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٢ .
(١٤٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ .
(١٤٨) الدرر ، جـ٥ ، ص٤٢ .
(١٤٩) مفردها رباط وهي كلمة عربية الأصل تعني مكان اقامة الحامية المرابطة عند ثغور العدو . ثم أصبحت مكانا لايواء الزهاد المنقطعين للعبادة والعلم . أنظر : السلوك ، جـ١ ، ص١٨٢ ، هامش ٤ . ولمزيد من التفاصيل أنظر : محمد توفيق بلبع ، «نشأة الرباط وتطوره وأهمية نظام المرابطة في تاريخ المسلمين» ، **دراسات أثرية وتاريخية** ، جمعية الآثار بالاسكندرية ١٩٦٨م .

(١٥٠) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٢٧ .
(١٥١) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٢٩ ، انتصار ، ق١ ، ص١٠٢ ـ ١٠٣ ، الدرر ، جـ٤ ، ص٣٢٣ .
(١٥٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٢٩ ، قارن : انتصار ، ق١ ، ص١٠٢ ـ ١٠٣ ، الدرر ، جـ٤ ، ص٣٢٣ .
(١٥٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٢٩ .
(١٥٤) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٠ .
(١٥٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٠ ، انتصار ، ق١ ، ص١٠٢ .
(١٥٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٢٧ ـ ٤٢٨ .
(١٥٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٢٨ .
(١٥٨) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٢٨ .
(١٥٩) الطالع ، ص ٥٥٨ .
(١٦٠) محمد توفيق بلبع : «المسجد والحياة في المدينة الاسلامية» **مجلة عالم الفكر** ، المجلد الحادي عشر ، العدد الاول ، ابريل ، مايو ، يونيو ١٩٨٠ ، ص١٨٦ ـ ١٩٠ .
(١٦١) الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٦ .
(١٦٢) عبد الغني محمد عبد العاطي : «التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك» ، **رسالة ماجستير** ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مارس ١٩٧٥م ، ص٢١٨ .
(١٦٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٥٥ ـ ٣٥٦ .
(١٦٤) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٩ .
(١٦٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٣١٢ .
(١٦٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٣١٦ .
(١٦٧) صبح ، جـ١١ ، ص٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ .
(١٦٨) صبح ، جـ١١ ، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨ .
(١٦٩) صبح ، جـ١١ ، ص٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ـ ٢٤١ .
(١٧٠) صبح ، جـ١١ ، ص٢٢٩ ، ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، ٢٣٩ ـ ٢٤٣ ، معيد ، ص١٠٥ ـ ١٠٦ .
(١٧١) صبح ، جـ١١ ، ص٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٣٣٨ ، ٢٤١ .
(١٧٢) معيد ، ص١٠٥ .
(١٧٣) على عبد اللطيف ابراهيم : وثيقة الأمير صرغتمش ، نصان جديدان من وثيقة الامير صرغتمش مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد السابع والعشرون ، الجزءان الأول والثاني ، مايو ، ديسمبر ١٩٦٥م ، المجلد الثامن والعشرون ، الجزء الأول والثاني ، مايو ، ديسمبر ١٩٦٦م ، ص١٤٧ ـ ١٤٨ ، قارن : معيد ، ص١٠٧ .
(١٧٤) السلوك ، جـ١ ، ص٧٠٠ .
(١٧٥) السلوك ، جـ١ ، ص٧٠٠ ، هامش٣ ، أنظر كذلك : صبح ، جـ٥ ، ص٤٦٤ ، معيد ، ص١٠٨ .
(١٧٦) السلوك ، جـ١ ، ص١٠٤٦ .
(١٧٧) السلوك ، جـ١ ، ص٧٢١ ، وثيقة الأمير صرغتمش (البقية) ، ص١٦ ، هامش ٥٠ .
(١٧٨) وثيقة الأمير صرغتمش ، ص١٤٨ .
(١٧٩) صبح ، جـ١١ ، ص٢٤٧ ـ ٢٥٠ .
(١٨٠) صبح ، جـ١١ ، ص٢٥٣ ـ ٢٥٦ .
(١٨١) الخطط ، جـ٢ ، ص٢٦٤ .
(١٨٢) لمزيد من التفاصيل أنظر : ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن ابراهيم بن أبي الفضل سعد الله بن جماعة (ت٧٣٣هـ ـ ١٣٣٢م) : **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** ، تحقيق محمد هاشم الندوى ، حيدر آباد ، الهند : ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م ، ص٣٠ ـ ٤٦ .
(١٨٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٥ .

(١٨٤) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٨ .
(١٨٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧١ .
(١٨٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٥ .
(١٨٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٥ .
(١٨٨) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٩ .
(١٨٩) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٩ .
(١٩٠) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٠ .
(١٩١) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٠ .
(١٩٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٢ .
(١٩٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٧ .
(١٩٤) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠١ .
(١٩٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠٠ .
(١٩٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠٦ .
(١٩٧) الدرر ، جـ١ ، ص٩ .
(١٩٨) وثيقة الأمير صرغتمش ، ص١٤٩ .
(١٩٩) وثيقة الأمير صرغتمش ص١٥١ .
(٢٠٠) الضوء ، جـ١٢ ، ص٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢، ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٤ .
(٢٠١) الضوء ، جـ١٢ ، ص٨ ، ١٠ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٤ .
(٢٠٢) هو ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم شرف الدين المناوي سمع من موسى بن علي بن أبي طالب وست الوزراء وعبد الله بن علي الصنهاجي وغيرهم . درس بالفارقانية وغيرها . كان عالما ، ثبتا ، وافر العقل بشرح فرائض الوسيط شرحا جيدا . كان أحد فضلاء الشافعية وكان فيه احسان للطلبة . أنظر : الدرر ، جـ١ ، ص١٧ ـ ١٨ .
(٢٠٣) الدرر ، جـ١ ، ص١٨ .
(٢٠٤) الضوء ، جـ١٢ ، ص٣ .
(٢٠٥) الضوء ، جـ١٢ ، ص٤ .
(٢٠٦) الضوء ، جـ١٢ ، ص٥ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧١ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٤ .
(٢٠٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٤ .
(٢٠٨) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠٢ .
(٢٠٩) وثيقة الأمير صرغتمش ، ص١٤٧ .
(٢١٠) الخطط ، جـ٢ ، ص٢٩٩ ـ ٣٠٠ .
(٢١١) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٤ .
(٢١٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٣٠ .
(٢١٣) أنظر ترجمته : الدرر ، جـ٥ ، ص١٠٥ ـ ١٠٦ .
(٢١٤) ابن حجر ، أحمد على (ت٨٥٢هـ ـ ١٤٤٩م) : **انباء الغمر في أبناء العصر** ، جزءان ، حيدر آباد ، ١٩٦٧ ، جـ١ ، ص٧٩ .
(٢١٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٥ .
(٢١٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠٢ .

(٢١٧) وثيقة الأمير صرغتمش ، ص١٤٨ ـ ١٤٩ .
(٢١٨) وثيقة الأمير صرغتمش، ص١٥٢ .
(٢١٩) الزيت الطيب يقصد به زيت الزيتون .
(٢٢٠) وثيقة الأمير صرغتمش ، ص١٤٩ .
(٢٢١) وثيقة الأمير صرغتمش ، ص١٥٢ .
(٢٢٢) تذكرة السامع ، ص١٥ ـ ٣٠ .
(٢٢٣) معيد، ص٦٧ .
(٢٢٤) تذكرة السامع ، ص٤٦ ـ ٦٦ .
(٢٢٥) الدرر ، جـ١ ، ص٩ .
(٢٢٦) Lapidus, Ira Marvin «Muslim Cities in the Later Middle Ages» Harvard Univ. Press, Cambridge, Massechusetts, 1967,P, 108.
(٢٢٧) Muslim Cities. P.108.
(٢٢٨) Muslim Cities. P.109.
(٢٢٩) Muslim Cities. P.114.
(٢٣٠) Muslim Cities. P.114.
(٢٣١) Muslim Cities. P.114.
(٢٣٢) Muslim Cities. P.114.
(٢٣٣) Muslim Cities. P.130.
(٢٣٤) Muslim Cities. P.130.
(٢٣٥) Muslim Cities. P.141-142.
(٢٣٦) Muslim Cities. P.142.
(٢٣٧) السلوك، جـ٢ ، ص٥٩١، انظر كذلك : النجوم ، جـ١٠ ، ٤٦ .
(٢٣٨) الدرر، جـ٥ ، ص١٢٢ ، السلوك ، جـ٢ ، ص٣٧٥ .
(٢٣٩) الدرر ، جـ٥ ، ص١٢٣ .
(٢٤٠) الدرر ، جـ٥ ، ص١٢٣ .
(٢٤١) انظر ترجمته : الدرر ، جـ٥ . ص١٠٥ ـ ١٠٦ .
(٢٤٢) انظر ترجمته : الدرر، جـ٤ ، ص١٨٦
(٢٤٣) السلوك ، جـ٣، ص٢٩٢ .
(٢٤٤) السلوك ، جـ٢، ص٨٣٥ .
(٢٤٥) الخطط ، جـ٢، ص١٨٥ .
(٢٤٦) السلوك ، جـ٢، ص٧٦١ .
(٢٤٧) السلوك ، جـ٢، ص٧٦٤ .
(٢٤٨) الخطط، جـ٢، ص٣٦٤ .
(٢٤٩) الخطط، جـ٢، ص٣٦٤ .
(٢٥٠) الخطط ، جـ٢، ص٤٠٠ .
(٢٥١) الخطط، جـ٢، ص٤٠٠ .
(٢٥٢) الخطط ، جـ٢، ص٤٠٧ .
(٢٥٣) تذكرة السامع ، ص٨٥ ـ ص١١٢ .
(٢٥٤) الخطط ، جـ٢، ص٣٦٥ .
(٢٥٥) وثيقة الأمير صرغتمش، ص١٤٩ .

(٢٥٦) وثيقة الأمير صرغتمش، ص١٥٢ .
(٢٥٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٢ .
(٢٥٨) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٢ .
(٢٥٩) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٢ .
(٢٦٠) «الاستادار» هو أستاد الدار ويقابله بالفارسية أستادار وهو لقب من كان اليه أمر البيوت السلطانية كلها في المطابخ، وبيوت الشراب والحاشية والخدم ، وله أيضا الحديث المطلق والتصرف التام في استدعاء مايحتاج اليه كل من في بيت من بيوت السلطان من النفقات والكسي ومايجري مجراها . أنظر : تكملة المعاجم العربية ، جـ١ ، ص١٢٦ ـ ١٢٧ ، هامش ٢٠٣ .
(٢٦١) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠٣ .
(٢٦٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٢٦٩ .
(٢٦٣) التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، ص٢٣٩ .
(٢٦٤) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٦ .
(٢٦٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٦ .
(٢٦٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧١ .
(٢٦٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٩ .
(٢٦٨) صبح ، جـ١٤ ، ص٣٢٢ .
(٢٦٩) صبح ، جـ١٤ ، ص٣٢٥ .
(٢٧٠) صبح ، جـ١٤ ، ص٣٢٦ .
(٢٧١) صبح ، جـ١٤ ، ص٣٢٦ .
(٢٧٢) صبح ، جـ١٤ ، ص٣٢٥ .
(٢٧٣) صبح ، جـ١٤ ، ص٣٢٧ ـ ٣٢٨ .
(٢٧٤) صبح ، جـ١٤ ، ص٣٣٢ ـ٣٣٣ .
(٢٧٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٨ .
(٢٧٦) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٩ .
(٢٧٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٨ .
(٢٧٨) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٩٠ .
(٢٧٩) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٩٤ .
(٢٨٠) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠٢ .
(٢٨١) الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٨ .
(٢٨٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٩ .
(٢٨٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٣١٦ .
(٢٨٤) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٩ .
(٢٨٥) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠١ ، أنظر كذلك : وثيقة الأمير صرغتمش (البقية) ص١٧٢ ـ ١٧٤ ، هامش ٧٥ .
(٢٨٦) عبد اللطيف ابراهيم علي : وثيقة الأمير قراقجا الحسنى **مجلة كلية الآداب** ، جامعة القاهرة، المجلد الثامن عشر ، الجزء الثاني ، ديسمبر ١٩٥٦م ، ص٢٤٣ ، هامش ٧٩ .
(٢٨٧) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٢ ، انظر كذلك : وثيقة الأمير صرغتمش (البقية) ص١٧٥ ، هامش ٨١ .
(٢٨٨) وثيقة الأمير قراقجا الحسنى ، ص٢١١ ـ ٢١٢ .
(٢٨٩) وثيقة الأمير صرغتمش، ص١٥٢ ـ ١٥٣ .
(٢٩٠) وثيقة الأمير صرغتمش (البقية) ، ص١٧٢ ـ ١٧٣ ، هامش ٧٥ .
(٢٩١) وثيقة الأمير صرغتمش (البقية) ، ص١٥٥ ، هامش ٤٤ .
(٢٩٢) وثيقة الأمير صرغتمش، ص١٥٣ .

(٢٩٣) وثيقة الأمير صرغتمش، ص١٥٣ .
(٢٩٤) وثيقة الأمير صرغتمش، ص١٥٣ .
(٢٩٥) وثيقة الأمير صرغتمش، ص١٥٣ ـ ١٥٤ .
(٢٩٦) وثيقة الأمير صرغتمش، ص١٥٣ .
(٢٩٧) وثيقة الأمير صرغتمش، أنظر كذلك : وثيقة الأمير قراقجا الحسنى ، ص٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، هامش ٨٢ .
(٢٩٨) وثيقة الأمير صرغتمش (البقية) ، ص١٥٥ ، هامش ٤٤ .
(٢٩٩) وثيقة الأمير صرغتمش (البقية)، ص١٧٤ ، هامش ٧٦ .
(٣٠٠) الخطط ، جـ٢ ، ص٣١٢ .
(٣٠١) الخطط ، جـ٢ ، ص٣١٦ .
(٣٠٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٩ .
(٣٠٣) وثيقة الأمير صرغتمش (البقية) ، ص١٥٢ ، هامش ٣٦ ، ٥١ .
(٣٠٤) وثيقة الأمير صرغتمش (البقية)، ص١٥٢ .
(٣٠٥) معيد، ص١١ .
(٣٠٦) وثيقة الأمير صرغتمش (البقية)، ص١٥٢ .
(٣٠٧) وثيقة الأمير صرغتمش (البقية) ، ص١٥٢ .
(٣٠٨) هو خضر بن شوماف الخاصكي الملكي الظاهري ، حفظ القرآن ، ودرس الفقه واللغة العربية والصرف والنحو . استقر خازن كتب المدرسة الصرغتمشية . توفي ٨٩٥هـ، أنظر : الضوء ، جـ٣ ، ص١٧٨ ـ ١٧٩ .
(٣٠٩) الضوء ، جـ٣ ، ص١٧٩ .
(٣١٠) وثيقة الأمير قراقجا الحسنى ، ص٢١١ .
(٣١١) وثيقة الأمير صرغتمش، ص١٥٢ .
(٣١٢) وثيقة الأمير صرغتمش، ص١٥١ .
(٣١٣) معيد ، ص١٤٤ .
(٣١٤) وثيقة الأمير صرغتمش ، ص١٥٠ ـ ١٥١ ، قارن وثيقة الأمير قراقجا الحسنى . ص٢١٠ ـ ٢١١ .